لا تعد . وأما الفرث[1] والبعر فحطب إذا جفف عجيب .

ثم قالت : بقى الآن علينا الانتفاع بالدم ، وقد علمت أن الله ـ عز وجل ـ لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه ، وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها ، وإن أنا لن أقع على علم ذلك ـ حتى يوضع موضع الانتفاع به ـ صار كية[2] فى قلبى ، وقذى[3] فى عينى ، وهما لا يزال يعاودنى . فلم ألبث أن رأيتها قد تطلقت[4] وتبسمت ، فقلت : ينبغى أن يكون قد انفتح لك باب الرأى فى الدم . قالت : أجل ! ذكرت أن عندى قدور ! شامية جددا . وقد زعموا : أنه ليس شىء أدبغ ولا أزيد فى قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم ، وقد استرحت الآن ، إذ وقع كل شىء موقعه .

قال : ثم لقيتها بعد ستة أشهر ، فقلت لها : كيف كان قديد تلك الشاة ؟ قالت بأبى أنت ! لم يجىء وقت القديد بعد ، لنا فى الشحم والآلية والجنوب والعظم المعرق وغير ذلك معاش ! ولكل شىء إبان .

فقبض صاحب الحمار[5] والماء العذب قبضة من حصى ، ثم ضرب بها الأرض[6] ، ثم قال : لا تعلم أنك من المسرفين ، حتى تسمع بأخبار الصالحين !

* قصة زبيدة بن حميد :

وأما زبيدة بن حميد الصيرفى ، فإنه استلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطا ، فلما قضاه[7] بعد ستة أشهر ، قضاه درهمين وثلاث حبات شعير[8] . فاغتاظ البقال ، فقال : سبحان الله ! أنت رب مائة ألف دينار ، وأنا بقال لا أملك مائة فلس ، وإنما أعيش بكدى وباستفضال[9] الحبة والحبتين . صاح على بابك حمال والمال لم يحضرك ، وغاب وكيلك ، فنقدت[10] عنك درهمين وأربع شعيرات ، فقضيتنى بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات ؟ فقال زبيدة : يا مجنون ! أسلفتنى فى الصيف ، فقضيتك فى الشتاء ، وثلاث شعيرات شتوية ندية

---

(١) ما فى الكرش .
(٢) من الكى .
(٣) ما يدخل العين من تراب ونحوه .
(٤) انشرحت .
(٥) الذى سبقت حكايته .
(٦) تعبير عن أعجابه .
(*) إلى هنا تنتهى « قصة اهل البصيرة من المسجدين » . وهى القصة الثالثة فى كتاب البخلاء بعد المقدمة المطولة والتى جعل عنوانها « رَبِّ أنعمت فزِد » .
(٧) دفع له ما عليه .
(٨) أى مقدار وزنها من الفضة .
(٩) بإدخار .
(١٠) أى فاعطيت الحمال .

آرزن[1] من أربع شعيرات يابسة صيفية ، وما أشك أن معك فضلاً

وحدثنى أبو الأصبغ بن ربعى قال :

دخلت عليه[2] بعد أن ضرب غلمانه بيوم ، فقلت له : ما هذا الضرب المبرح ، وهذا الخلق السيىء ؟ هؤلاء غلمان ، ولهم حرمة وكفاية وتربية ، وإنما هو ولد[3] ، هؤلاء كانوا إلى غير هذا أحوج ! قال : إنك لست تدرى أنهم أكلوا كل جوارشن[4] كان عندى .

قال أبو الأصبغ : فخرجت إلى رئيس غلمانه فقلت : ويلك ! مالك وللجوارشن ، وما رغبتك فيه ؟ قال : جعلت فداك ! ما أقدر أن أكلمك من الجوع إلا وأنا متكىء ، الجوارشن ، ما أصنع به ! هو نفسه ليس يشبع ، ولا نحتاج إلى الجوارشن ، ونحن الذين إنما نسمع بالشبع سماعًا من أفواه الناس ـ ما نصنع بالجوارشن ؟

واشتد على غلمانه فى تصفية الماء ، وفى تبريده وتزميله [5] لأصحابه وزواره ، فقال له غازى أبو مجاهد : جعلت فداك ! مر بتزميل الخبز وتكثيره ، فإن الطعام قبل الشراب .

وقال مرة : يا غلام ! هات خوان النرد[6] ـ وهو يريد تخت النرد ـ فقال له غازى : نحن إلى خوان الخبز أحوج .

وسكر زبيدة ليلة ، فكسا صديقًا له قميصًا ، فلما صار القميص على النديم خاف البدوات[7] ، وعلم أن ذلك من هفوات السكر ، فمضى من ساعته إلى منزله ، فجعله برنكانًا[8] لامرأته . فلما أصبح ، سأل عن القميص وتفقده فقيل له : إنك قد كسوته فلانا . فبعث إليه . ثم أقبل عليه ، فقال : ما علمت أن هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز ! وبعد فإنى أكره ألا يكون لى حمد ، وأن يوجه الناس هذا منى من السكر ، فرده على حتى أهبه لك صاحيا عن طيب نفس ، فإنى أكره أن يذهب شىء من مالى باطلا ، فلما رآه قد صمم ، أقبل عليه فقال : يا هناه[9] إن الناس يمزحون ويلعبون ولا يؤخذون بشىء من ذلك ، فرد القميص عافاك الله . قال له الرجل : إنى والله قد خفت هذا بعينه ، فلم أضع جنبى إلى الأرض حتى جيبته[10] لامرأتى ، وقد زدت فى الكمين ، وحذفت المقاديم[11] ، فإن أردت بعد هذا كله أن

---

(١) أثقل .
(٢) على زبيدة بعد أن ضرب غلمانه بيوم واحد .
(٣) بمنزلة أولادك .
(٤) دواء للهضم .
(٥) لف إنائه بشىء مبلول ليبرد
(٦) المقصود صندوق النرد .
(٧) ما يبدو له من الرجوع بعد أن يصحو من السكر .
(٨) نوع من الثياب .
(٩) يا رجل .
(١٠) جعلت له جيبًا ، والجيب ما يفتح على الصدر .
(١١) مقاديم القميص : ما يبدو منه أولاً .

تأخذه فخذه . قال : نعم ! آخذه لأنه يصلح لأمرأتى كما يصلح لأمرأتك . قال : فإنه عند الصباغ ، قال : فهاته ! قال : ليس أنا أسلمته إليه . فلما علم أنه قد وقع قال : بأبى وأمى رسول الله ﷺ حيث يقول : « **جمع الشر كله فى بيت وأغلق عليه ، فكان مفتاحه السكر !** » .

* ليلى الناعطية :

وأما ليلى الناعطية ، صاحبة الغالية من الشيعة[1] ، فإنها مازالت ترقع قميصًا لها وتلبسه ، حتى صار القميص الرقاع وذهب القميص الأول . ورفت كساءها ولبسته حتى صارت لا تلبس إلا الرفو ، وذهب جميع الكساء . وسمعت قول الشاعر :

البس قميصك ما اهتديت لجيبه
فإذا أضلك جيبه[2] فاستبدل

فقالت : إنى أذن لحرقاء[3] ! أنا ـ والله ـ أحوص[4] الفتق وفتق الفتق ، وأرقع الخرق وخرق الخرق .

* عن وليد القرشى :

ومضيت أنا وأبو إسحاق النظام وعمرو بن نهيوى ، نريد الحديث فى الجبان[5] لنتناظر فى شىء من الكلام . فمررنا بمجلس وليد القرشى ـ وكان على طريقنا ـ فلما رآنا تمشى معنا ، فلما جاوزنا الخندق[6] جلسنا فى فناء حائطه ، وله ظل شديد السواد بارد ناعم ، وذلك لثخن الساتر[7] ، واكتناز الأجزاء ولبعد مسقط الشمس من أصل حائطه ، فطال بنا الحديث ، فخرجنا فى ضروب من الكلام ، فما شعرنا إلا والنهار قد انتصف ونحن فى يوم قائظ ، فلما صرنا فى الرجوع ، ووجدت مس الشمس ووقعها على الرأس أيقنت بالبرسام[8] ، فقلت لأبى إسحاق ـ والوليد إلى جنبى يسمع كلامى ـ : الباطنة[9] منا بعيدة ، وهذا يوم منكر ، ونحن فى ساعة تذيب كل شىء ، والرأى أن نميل إلى منزل الوليد ، فنقيل فيه ونأكل ما حضر ، فإنه يوم تخفيف[10] ،

---

(١) فرقة من الشيعة تسمى الغالية أى المتشددة .
(٢) أى لم تهتد إلى الجيب لادخال رأسك فيه . وذلك لكثرة الخروق من حوله .
(٣) غير موفقة .
(٤) أخيط .
(٥) الصحراء .
(٦) المحفور حول سور المدينة .
(٧) لسمك الحائط
(٨) ضربة الشمس .
(٩) مكان فى المدينة .
(١٠) تخفيف الأكل لشدة الحر .

فإذا أردنا[1] تفرقنا ، وإلا فهو الموت ليس دونه شيء . قال الوليد رافعًا صوته : أما على هذا الوجه فلا يكون والله أبدًا ، فضعه فى سويداء قلبك[2] ! فقلت له : ما هذا الوجه حتى أنكرته علينا رحمك الله ، هل ههنا إلا الحاجة والضرورة ؟ قال : إنك أخرجته مخرج الهزء قلت : وكيف أخرجه مخرج الهزء وحياتى فى يدك ، مع معرفتى بك ؟ فغضب ونتر يده من أيدينا ، وفارقنا . ولا والله ما اعتذر إلينا مما ركبنا به[3] إلى الساعة .

* ما كان من أبى مازن :

ولم أر من يجعل الأسى حجة فى المنع[4] إلا هو ، وإلا ما كان من أبى مازن إلى جبل الغمر[5] .

وكان جبل قد خرج ليلاً من موضع كان فيه ، فخاف الطائف[6] ، ولم يأمن من المستقفى[7] ، فقال : لو دققت الباب على أبى مازن ، فبت عنده فى أدنى بيت ، أو فى دهليزه ، ولم ألزمه من مؤنتى شيئًا ، حتى إذا تصدع عمود الصبح خرجت فى أوائل المدلجين[8] . فدق عليه الباب دق واثق ، ودق مدل[9] ودق من يخاف أن يدركه الطائف ، أو يقفوه المستقفى ، وفى قلبه عز الكفاية[10] ، والثقة باسقاط المؤنة ، فلم يشك ابو مازن أنه دق صاحب هدية ، فنزل سريعًا ، فلما فتح الباب وبصر بجبل ، بصر بملك الموت ! فلما رآه جبل واجمًا لا يحير كلمة ، قال له : إنى خفت معرة الطائف[11] ، وعجلة المستقفى ، فملت إليك لأبيت عندك ، فتساكر[12] أبو مازن وأراه أن وجومه إنما كان بسبب السكر ، فخلع جوارحه[13] وخبل لسانه ، وقال : سكران والله ، أنا والله سكران ! قال له جبل : كن كيف شئت ، نحن فى أيام الفصل ، لا شتاء ولا صيف ، ولست أحتاج إلى سطح[14] فأغم عيالك بالحر ، ولست أحتاج إلى لحاف فأكلفك أن تؤثرنى بالدثار ، وأنا كما ترى ثمل من الشراب ، شبعان من الطعام ، ومن منزل فلان خرجت ، وهو أخصب الناس دخلاً ، وإنما أريد أن تدعنى أغفى فى دهليزك أغفاءة واحدة ، ثم أقوم فى أوائل المبكرين ، قال أبو مازن ـ وأرخى عينيه وفكيه ولسانه ـ ثم قال : سكران والله ،

---

(١) صرنا فى جو بارد .
(٢) أى ضع هذا الكلام فى صميم قلبك وافهمه .
(٣) أساء به إلينا .
(٤) أى يجعل ما نقاسيه من الحر سببًا لمنعنا من القيلولة عنده .
(٥) اسم رجل .
(٦) الذى يطوف بالمدينة ليلاً بأمر الحاكم ليتفقد أحوالها .
(٧) من يقفو الأثر للسلب .
(٨) السائرون آخر الليل .
(٩) أى دق واثق من منزلته عند من يدق عليه .
(١٠) الاستغناء .
(١١) اساءته .
(١٢) تظاهر بالسكر .
(١٣) أعضاءه .
(١٤) أنام فيه لشدة الحر .

أنا سكران ، لا والله ما أعقل أين أنا . والله إن[1] أفهم ما تقول . ثم أغلق الباب فى وجهه . ودخل لا يشك أن غدره قد وضح ، وأنه قد ألطف النطر[2] حتى وقع على هذه الحيلة .

وإن وجدتم فى هذا الكتاب لحنًا أو كلامًا غير معرب ولفظًا معدولاً عن جهته ، فاعلموا أنّا إنما تركنا ذلك لأن الأعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده ، إلا أن أحكى كلامًا من كلام متعاقلى البخلاء ، وأشحاء العلماء ، كسهل بن هارون وأشباهه[3] .

* قصة أحمد بْن خلف اليزيدى :

ومن طياب البخلاء أحمد بن خلف اليزيدى . ترك أبوه فى منزله يوم مات ألفى ألف درهم وستمائة ألف درهم ، وأربعين ومائة ألف دينار . فاقتسمها هو وأخوه حاتم قبل دفنه ، وأخذ أحمد وحده ألف ألف وثلاثمائة ألف درهم . وسبعين ألف دينار ، ذهبًا عينا[4] مثاقيل وزانة[5] جياد ، سوى العروض[6] .

فقلت له ـ وقد ورث هذا المال كله ـ ما أبطأ بك الليلة ؟ قال : لا والله ! إلا أنى تعشيت البارحة فى البيت . فقلت لأصحابنا لولا أنه بعيد العهد بالأكل فى بيته ـ وأن ذلك غريب منه ـ لما احتاج إلى هذا الاستثناء . وإلى هـذه الشريطة[7] . وأين يتعشى الناس إلا فى منازلهم ؟ إنما يقول الرجل عند هذه المسألة : لا والله إلا أن فلانًا حبسنى . ولا والله إلا أن فلانًا عزم على ! فأما ما يستثنى ويشترط ، فهذا ما لا يكون إلا على ما ذكرناه قبل .

دهليزه ، ولم ألزمه من مؤنتى شيئًا . حتى إذا تصدع عمود الصبح خرجت فى أوائل وهن لى مبتدئًا مرة من غير مشورة وعن غير سبب جرى : أنظر ! أن تتخذ لعيالك فى الشتاء من هذه المثلثة[8] فإنها عظيمة البركة ، كثير النزل[9] . وهى تنوب عن الغداء ، ولها نفجة تغنى عن العشاء ، وكل شىء من الأحساء[10] فهو يغنى عن طلب النبيـذ . وشرب الماء ، ومن تحسى الحار عرق ، والعرق يبيض الجلد ، ويخرج من الجوف . وهى تملأ النفس ، وتمنع من التشهى ، وهى أيضًا تدفىء ، فتقوم لك فى أجوافهم مقام فحم الكانون من خارج . وحسو الحار يغنى عن الوقود وعن لبس الحشو . والوقود يسود كل شىء وينتنه ، وهو سريع فى الهضم[11] ، وصاحبه معرض

(١) أن : ما .
(٢) أنعم النظر .
(٣) هذا يشبه ما يقال به فى عصرنا من ملاءمة الحوار فى القصص الواقعى . وبالطبع هذا الكلام من الحاحظ
(٤) مقبوضة .
(٥) آخذة حقها من الوزن .
(٦) الأمتعة التى ليست عقارًا ولا توزن ولا تكال .
(٧) الشرط .
(٨) شراب يطبخ حتى يذهب ثلثاه .
(٩) البركة .
(١٠) جمع حساء (شوربة) .
(١١) أى أن الوقود سريع التفتت كما يهضم الطعام .

للحريق ، ويذهب فى ثمنه المال العظيم ، وشرشىء فيه أن من تعوده لم يدفئه شىء سواه . فعليك يا أبا عثمان بالمثلثة ، وأعلم أنها لا تكون فى منازل المشيخة ، وأصحاب التجربة ، فخذها من حكيم مجرب ، ومن ناصح مشفق .

وكان لا يفارق منازل إخوانه . وإخوانه محاصيب[1] مناويب أصحاب نفح[2] وترف . وكانوا يتحفونه ويدللونه ويفكهونه[3] ويحكمونه[4] ، ولم يشكوا أنه سيدعوهم مرة ، وأن يجعلوا بيته نزهة ونشوة ، فلما طال تغافله . وطالت مدافعته ، وعرضوا له بذلك فتغافل ، صرحوا له ، فلما امتنع قالوا : اجعلها دعوة ليس لها أخت ! فلما بلغ منه ومنهم المجهود . اتخذ لهم طعيمًا خفيفًا شهيًا مليحًا ، لا ثمن له ، ولا مؤنة فيه ، فلما أكلوا وغسلوا أيديهم ، أقبل عليهم فقال : أسألكم بالله الذى لا شىء أعظم منه : أنا الساعة أيسر وأغنى ، أو قبل أن تأكلوا طعامى ؟ قالوا : ما نشك أنك ـ حين كنت والطعام فى ملكك ـ أغنى وأيسر ! قال : فأنا الساعة أقرب إلى الفقر أم تلك الساعة ؟ قالوا : بل أنت الساعة أقرب من الفقر ! قال : فمن يلومنى على ترك دعوة قوم قربونى إلى الفقر ، وباعدونى من الغنى . وكلما دعوتهم أكثر ، كنت من الفقر أقرب ، ومن الغنى أبعد ؟ .

وفى قياسه هذا أن من رأيه أن يهجر كل من استسقاه شربة ماء ، أو تنازل من حائطه لبنة ومن خليط دابته[5] عودًا .

ومر بأصحاب الجداء[6] وذلك فى زمان التوليد[7] ، فأطمعه الزمان فى الرخص ، وتحركت شهوته[8] على قدر إمكانه عنده[9] ، فبعث غلامًا له يقال له ثقف ـ وهو معروف ـ ليشترى له جديا ، فوقف غير بعيد ، فلم يلبث أن رجع الغلام يحضر[10] ، وهو يشير بيده ويومىء برأسه ، أن : اذهب ولا تقف . فلم يبرح ، فلما دنا منه قال : ويلك ! تهربنى كأنى مطلوب[11] ! قال : هذا أطرف[12] . الجدى بعشرة ، أنت من ذى البابة[13] ؟ مر الآن ! مر ! مر !

فإذا غلامه يرى أن من المنكر أن يشترى جدى بعشرة دراهم ! والجدى بعشرة إنما ينكر عندنا

---

(١) خيرهم كثير .
(٢) يتناوبون الطعام ، أى على كل واحد نوبة .
(٣) عطاء .
(٤) يطرفونه بالملح والنوادر .
(٥) يجعلون له الحكم فيما يشتهى .
(٦) علفها .
(٧) جمع جدى .
(٨) توليد المعيز .
(٩) إغراؤه .
(١٠) على قدر ما يمكن شراؤه .
(١١) كان الحاكم يطلبنى .
(١٢) كان الغلام يقول له : عدم فهمك للإشارة ما فى الموضوع .
(١٣) البابه : الوجه والناحية ، يعنى : هل أنت من النوع الذى يشترى بهذا الثمن ؟

بالبصرة ، لكثرة الخير ، ورخص السعر ، فأما فى العساكر[1] ، فإن أنكر ذلك منكر ، فإنما ينكره من طريق رخصه ، وقلة ثمنه ، لا لغير ذلك .

ولا تقولوا الأن : قد والله أساء أبو عثمان[2] الى صديقه[3] بل ما تناوله بالسوء حتى بدأ بنفسه[4] ومن كانت هذه صفته ، وهذا مذهبه ، فعير مأمون على جليسه ، وأى الرجال المهذب ؟ هذا والله الشيوع[5] والتبوع[6] والبذاء ، وقلة الوفاء .

اعلموا أنى لم ألتمس بهذه الأحاديث عنه إلا موافقته وطلب رضاه ومحبته[7] ، ولقد خفت أن أكون عند كثير من الناس دسيسا من قبله ، وكمينا من كمنائه . وذلك أن أحب الأصحاب إليه ، أبلغهم قولاً فى إياس الناس مما قبله[8] وأجودهم حسمًا لاسباب الطمع فى ماله . على أنى إن أحسنت بجهدى ، فسيجعل شكرى موقوفا ، فإن جاوز كتابى هذا حدود العراق شكر ، وإلا أمسك ، لأن شهرته بالقبيح عند نفسه فى هذا الإقليم ، قد أغناه عن التنويه والتنبيه على مذهبه . وكيف ، وهو يرى أن سهل بن هارون وإسماعيل بن غزوان ، كانا من المسرفين ؟ وأن الثورى والكندى يستوجبان الحجر ؟ وبلغنى أنه قال : لو لم تعرفوا من كرامة الملائكة على الله إلا أنه لم يبتلهم بالنفقة ولا يقول العيال : هات ! لعرفتم حالهم ومنزلتهم .

وحدثنى صاحب لى قال :

* حكاية فلان بن فلان :

دخلت على فلان بن فلان ، وإذا المائدة موضوعة بعد ، وإذا القوم قد أكلوا ورفعوا أيديهم ، فمدت يدى لآكل فقال : أجهز على الجرحى ، ولا تعرض للأصحاء ! يقول : أعرض للدجاجة التى قد نيل منها . وللفرخ المنزوع الفخذ ، فأما الصحيح فلا تعرض له ! وكذلك الرغيف الذى قد نيل منه ، وأصابه بعض المرق !.

وقال لى هذا الرجل : أكلنا عنده يومًا ، وأبوه حاضر ، وبنى له يجىء ويذهب ، فاختلف[9] مرارًا ، كل ذلك يرانا نأكل ، فقال الصبى : كم تأكلون ؟ لا أطعم الله بطونكم ! فقال أبوه ـ وهو جد الصبى ـ ابنى ورب الكعبة !

---

(١) البلاد الكبيرة المزدحمة بالسكان مثل بغداد .
(٢) الجاحظ .
(٣) أحمد بن خلف .
(٤) لأنه صديقه ، ومن يذم صديقه كأنما يذم نفسه .
(٥) الأحراق : يعنى أن هذه الأحاديث تحرق المتحدث عنه .
(٦) من تبع الشىء أى استقصاه .
(٧) لأنه يجب أن يشاع عنه ذلك .
(٨) أى يجعلهم ييأسون مما عنده .
(٩) الاختلاف إلى الشىء : التردد عليه .

* صاحب مسلحة الكرخ :

وحدثنى صاحب مسلحة باب الكرخ[1] قال :

قال لى صاحب الحمام : ألا أعجبك[2] من صالح بن عفان ؟ كان يجىء كل سحر ، فيدخل الحمام ، فإذا غبت عن إجانة النورة[3] مسح أرفاغه[4] ، ثم يتستر بالمئزر ، ثم يقوم فيغسله فى غمار الناس ، ثم يجىء بعد فى مثل تلك الساعة ، فيطلى ساقيه وبعض فخذيه ، ثم يجلس ويتزر بالمئزر ، فإذا وجد غفلة غسله ، ثم يعود فى مثل هذا الوقت فيمسح قطعة أخرى من جسده ، فلا يزال يطلى فى كل سحر حتى ذهب منى بطلية ! قال : ولقد رأيته وإن فى زيق سرويله[5] نورة .

وكان لا يرى الطبخ فى القدور الشامية ، ولا تبريد الماء فى الجرار المذارية[6] ، لأن هذه ترشح ، وتلك تنشف !

* أبو الجهجاه يتحدث :

حدثنى أبو الجهجاه النوشروانى قال :

حدثنى أبو الأحوص الشاعر قال : كنا نفطر عند الباسيانى[7] ، فكان يرفع يديه قبلنا ، ويستلق على فراشه ويقول : ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا** ﴾[8]

* حديث خالد بن يزيد :

وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة[9] . هو خالوية المكدى[10] . وكان قد بلغ فى البخل والتكدية وفى كثرة المال المبالغ التى لم يبلغها أحد . وكان ينزل فى شق[11] بنى تميم فلم يعرفوه ، فوقف عليه ذات يوم سائل ، وهو فى مجلس من مجالسهم ، فأدخل يده فى الكيس ليخرج فلسًا ـ وفلوس البصرة كبار ـ فغلط بدرهم بغلى[12] ، فلم يفطن حتى وضعه فى يد السائل ، فلما فطن استرده وأعطاه الفلس ! فقيل له : هذا لا نظنه يحل وهو بعد قبيح ، قال قبيح عند

---

(١) المسلحة : جماعة مسلحون فى مكان للحراسة ، وباب الكرخ : حى من أحياء بغداد ويبدو أنه ضابط كبير .
(٢) أعجلك تعجب منه .
(٣) الإجانه : الوعاء ، والنورة : مادة ينزع بها الشعر .
(٤) باطن الإبط والفخذ .
(٥) الزيق ما يحيط بالسروايل من اعلاها .
(٦) نسبة إلى بلد يسمى (مذار) .
(٧) نسبة إلى باسيان : بلدة بخوذستان
(٨) سورة الإنسان : ٩ .
(٩) المهالبة : بنوا المهلب بن أبى صفرة ، ومولاهم : المنتسب إليهم .
(١٠) المستجدى .
(١١) ناحية .
(١٢) نوع من الدراهم .

من ؟ إنى لم أجمع هذا المال بعقولكم فأفرقه بعقولكم . ليس هذا من مساكين الدراهم ، هذا من مساكين الفلوس ! والله ما أعرفه إلا بالفراسة ! قالوا : وإنك لتعرف المكدين ؟ قال : وكيف لا أعرفهم ! لم يبق فى الأرض مخطرانى[1] ولا مستعرض الأفقية ، ولا شحاذ ، ولا كاغانى ، ولا بانوان ، ولا قرسى ، ولا عواء ، ولا مشعب ، ولا مزيدى ، ولا أسطيل إلا وقد كان تحت يدي . ولقد أكلت الزكورى ثلاثين سنة ، ولم يبق فى الأرض كعبى ، ولا مكد إلا وقد أخذت العرافة[2] عليه . وإنما أزاد بهذا أن يؤيسهم من ماله حين عرف حرصهم وجشعهم ، وسوء جوارهم . وكان قاصًا متكلمًا بليغًا داهيًا . وكان أبو سليمان الأعور وأبو سعيد المدائنى القاصان من غلمانه .

* وهو الذى قال لابنه عند موته :

إنى قد تركت لك ما تأكله إن حفظته ، وما لا تأكله إن ضيعته ، ولما ورثتك[3] من العرف[4] الصالح ، وأشهدتك من صواب التدبير ، وعودتك من عيش المقتصدين ، خير لك من هذا المال . وقد دفعت إليك آلة[5] لحفظ المال ، عليك بكل حيلة . ثم إن لم يكن لك معين من نفسك ، ما انتفعت بشىء من ذلك ، بل يعود لك النهى كله إغراء لك[6] وذلك المنع تهجينا لطاعتك[7] قد بلغت فى البر منقطع التراب ، وفى البحر أقصى مبلغ السفن ، فلا عليك ألا ترى ذا القرنين[8] ، ودع عنك مذاهب ابن شرية[9] فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر ، ولو رآنى تميم الدارى[10] لأخذ عنى صفة الروم . ولأنا أهدى من القطا[11] ، ومن دعيميص[12] ومن رافع المخش ، إنى قد بت بالقفر مع الغول[13] ، وتزوجت السعلاة[14]، وجاوبت الهاتف[15] ، ورغت[16] عن الجن إلى الحن[17] واصطدت الشق[18] وجاوبت النسناس[19]

---

(١) هذا اللفظ وما بعده فسره الجاحظ فيما بعد .
(٢) الرياسة .
(٣) والذى ورثتك إياه .
(٤) الرفق والإحسان .
(٥) المراد بالآله ما علمه إياه .
(٦) يعنى أنك إذا لم تكن راغبًا فيما نصحتك به فإن النهى يغريك ويحضك على المنهى عنه .
(٧) التهجين : التقبيح ، يعنى أنك لو أضعت بغير اقتناع كان ذلك مشينًا لطاعتك .
(٨) أى فلا بأس عليك ألا ترى ذا القرنين . إذ يكفيك ما أطلعتك عليه .
(٩) يرى هذا الرجل أن الذهب والفضة حجران إن أخرجتهما نقدًا . وإن تركتهما لن يزيدا .
(١٠) كان عارفًا ببلاد الروم .
(١١) نوع من الحمام يهتدى إلى الماء من بعيد .
(١٢) اسم رجل كان دليلاً ماهرًا ومثله المذكور بعده
(١٣) حيوان خرافى .
(١٤) تعرف بأنها من نساء الجن .
(١٥) الذى يسمع صوته ولا يرى .
(١٦) ملت سرًا .
(١٧) نوع من الجن وقيل خلق بين الجن والإنس .
(١٨) حيوان خرافى على هيئة نصف الإنسان .
(١٩) أختلف فى حقيقته . ومما قيل أنه دابة كالوحش

وصحبنى الرئى[1] وعرفت خدع الكاهن ، وتدسيس العراف[2] والأم يذهب الخطاط[3] والعياف[4] وما يقول أصحاب الأكتاف[5] وعرفت التنجيم والزجر[6] ، والطرق[7] والفكر[8]

إن هذا المال لم أجمعه من القصص والتكدية ، ومن احتيال النهار ومكابدة الليل ، ولا يجمع مثله أبدا إلا من معاناة ركوب البحر ، او من عمل السلطان ، أو من كيمياء الذهب والفضة . وقد عرفت الرأس[9] حق معرفته ، وفهمت كسر الأكسير[10] على حقيقته ، ولولا علمى بضيق صدرك ، ولولا أن أكون سببًا لتلف نفسك لعلمتك الساعة الشىء الذى بلغ بقارون[11] ، وبه تبنكت[12] خاتون[13] ، والله ما يتسع صدرك عندى لسر صديق ، فكيف مالا يحتمله عزم ، ولا يتسع له صدر ! وحرز[14] سر الحديث ، وحبس كنوز الجواهر ، أهون من خزن العلم . ولو كنت عندى مأمونًا على نفسك لأجريت الأرواح فى الأجساد ، وأنت تبصر ما كنت لا تفهمه بالوصف ولا تحققه[15] بالذكر ، ولكنى سألقى عليك علم الإدراك . وسبك الرخام ، وصنعة الفسيفساء[16] ، وأسرار السيوف القلعية[17] وعقاقير السيوف اليمانية[18] ، وعمل الفرعونى[19] وصنعة التلطيف[20] على وجهه ، إن أقامنى الله من صرعتى[21] هذه ولست أرضاك[22] وإن كنت فوق البنين ، ولا أثق بك وإن كنت لاحقًا بالآباء ، لأنى لم أبالغ فى محبتك . إنى قد لابست السلاطين والمساكين ، وخدمت الخلفاء والمكدين ، وخالطت النساك والفتاك ، وعمرت السجون[23] كما عمرت مجالس الذكر ، وحلبت الدهر أشطره[24] ، وصادفت دهرًا كثير الأعاجيب ، فلولا أنى دخلت من كل باب ، وجربت مع كل ريح ، وعرفت السراء والضراء . حتى مثلت لى التجارب عواقب الأمور ، وقربتنى من غوامض التدبير لما أمكننى جمع ما أخلفه لك ، ولا حفظ ما حبسته عليك ، ولم أحمد نفسى على جمعه ، كما

---

(١) جنى يألف الإنسان ويعلمه أشياء مثل الكهانة .
(٢) حيلة ومكر .
(٣) فى الرمل .
(٤) من يتفاءل بالطير .
(٥) الذين ينظرون فى كتف الإنسان كما ينظر قارىء الكف فى الكف
(٦) زجر الطير والتطير منه .
(٧) مثل الضرب بالودع .
(٨) الحدس .
(٩) ، (١٠) من مصطلحات المشتغلين بعلم الكيمياء القديمة .
(١١) أوصله إلى الغنى .
(١٢) تمكنت .
(١٣) ملكة بخارى .
(١٤) حفظ .
(١٥) ولا تتحققه .
(١٦) خرز ذو ألوان يوضع فى الحيطان .
(١٧) منسوبة إلى القلعة وهو موضع بالبادية .
(١٨) أدوية تضاف إلى معدن السيوف .
(١٩) نوع من الزجاج .
(٢٠) النقش .
(٢١) مرضى .
(٢٢) أى لسرى .
(٢٣) ألقت فيها .
(٢٤) الشطر هنا : الضرع . يعنى انه خير الأمور تشبيها بحلب الناقة .

حمدتها على حفظه ، لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس [1] . قد حفظته عليك من فتنة الرياء ومن أيدى الوكلاء ، فإنهم الداء العياء .

ولست أوصيك بحفظه لفضل حبى لك ، ولكن لفضل بغضى للقاضى ! إن الله ـ جل ذكره ـ لم يسلط القضاة على أموال الأولاد إلا عقوبة للأولاد . لأن أباه [2] إن كان غنيًا قادرًا أحب أن يريه غناه وقدرته . وإن كان فقيرًا عاجزًا أحب أن يستريح من شينه ، ومن حمل مؤنته ، وإن كان خارجًا من الحالين [3] ، أحب أن يستريح من مداراته [4] . فلا هم شكروا من جمع لهم وكفاهم ووقاهم وغرسهم ولا هم صبروا على من أوجب الله حقه عليهم ، والحق لا يوصف عاجله بالحلاوة ، كما لا يوصف عاجل الباطل بالمرارة . فإن كنت منهم [5] فالقاضى لك [6] ، وإن لم تكن منهم فالله لك [7] ، فإن سلكت سبيلى صار مال غيرك وديعة عنك ، وصرت الحافظ على غيرك ، وإن خالفت سبيلى صار مالك وديعة عند غيرك وصار غيرك الحافظ عليك ، وإنك يوم تطمع أن تضيع مالك ، ويحفظه غيرك ، لجشع الطمع مخذول الأمل .

احتال الآباء فى حبس الاموال على أولادهم بالوقف ، فاحتالت القضاة على أولادهم بالاستحجار [8] ما أسرعهم إلى إطلاق الحجر ، وإلى إيناس الرشد إذا أرادوا الشراء منهم ، وأبطأهم عنهم إذا أرادوا أن تكون أموالهم جائزة لصنائعهم [9]

يا ابن الخبيثة ! إنك إن كنت فوق أبناء هذا الزمان فإن الكفاية قد مسختك [10] ، ومعرفتك بكثرة ما أخلف قد أفسدتك ، وزاد فى ذلك أن كنت بكرى ، وعجزة أمك [11] . أنا لو ذهب مالى لجلست قاصًا [12] ، أو طفت فى الآفاق ـ كما كنت ـ مكديًا ، للحية وافرة بيضاء ، والحلق جهير طل [13] ، والسمت حسن ، والقبول على واقع . إن سألت عينى الدمع أجابت ، والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير ، وصرت محتالاً بالنهار ، واستعملت صناعة الليل ، أو خرجت قاطع طريق ، أو صرت للقوم عينا [14] ، ولهم مجهرًا ! سل عنى صعاليك الجبل [15] ،

---

(١) الفطنة والذكاء .
(٢) أى الواحد من الأبناء .
(٣) متوسطًا .
(٤) أى يستريح الولد من ملاطفة أبيه ليأخذ منه .
(٥) مِنَ الأولاد الذين لا يرعون المال وحقوق الأباء .
(٦) عدو لك .
(٧) راع لك .
(٨) الحجر .
(٩) عطاء لمن يحبهم القضاة .
(١٠) يعنى أن مقدرتك قد أفسدت نفسك بدل أن تصلحها .
(١١) أخر من ولدت (أخر العنقود) .
(١٢) يكسب من القص .
(١٣) حسن .
(١٤) جاسوسًا .
(١٥) لصوص الجبال .

وزواقيل[1] الشام ، وزط الآجام[2] ، ورؤوس الأكراد ، ومردة الأعراب ، وهناك نهر بط[3] . ولصوص القفص[4] وسل عنى القيقانية[5] والقطرية[6] ، وسل عنى المتشبهة[7] وذباجى الجزيرة ، كيف بطشى ساعة البطش ، وكيف حيلتى ساعة الحيلة ، وكيف أنآ عند الجولة . وكيف ثبات جنانى عند رؤية الطليعة ، وكيف يقظتى إذا كنت ربيئة[8] وكيف كلامى عند السلطان إذا أخذت ، وكيف صبرى إذا جلدت ، وكيف قلة ضجرى إذا حبست ، وكيف رسفانى فى القيد إذا أثقلت ! فكم من ديماس[9] قد نقبته ، وكم من مطبق[10] أفضيته ، وكم من سجن قد كابدته .

لم تشهدنى وكردوية إلا قطع أيام سندان[11] ، ولا شهدتنى فى فتنة سرنديب[12] ولا رأيتنى أيام المولتان[13] . سل عنى الكتيفية والخليدية والحربية[14] والبلاية وبقية أصحاب صخر ومصخر ، وبقية أصحاب فاس وراس ومقلاس[15] ومن لقى أزهر أبا النقم . كان آخر من صادفنى حمدوية أبو الأرطال ، وأنا مجيب مردوية بن أبى فاطمة ، وأنا خلعت بنى هانىء ، وأنا أول من شرب الغربى[16] حارًا والبزيل[17] باردًا وأول من شرب العرق بالكبر ، وجعل المنقع قرعة ، وأول من ضرب الشاهسبرم[18] على ورق القرع ، وأول من لعب باليرمع[19] فى البدو ، وأسقط الدف المربع من بين الدفاف ، وما كان النقاب إلا هدامًا حتى نشأت ، وما كان الاستقفاء إلا استلابًا حتى بلغت .

---

(١) جنس من السود .
(٢) جمع أجمه : أى الشجر الملتف .
(٣) بلدة بالأهواز .
(٤) صنف من اللصوص كان معروفًا وقتذاك .
(٥) القيقانية : نسبة إلى قيقان بلد من بلاد السند .
(٦) نسبة إلى قطر .
(٧) الأشرار المتشبون بأهل الصلاح .
(٨) الربيئة : الذى يقف على مكانٍ عال لينظر قومه لا يفاجئهم العدو .
(٩) سجن .
(١٠) سجن من تحت الأرض .
(١١) مدينة ملاصقة لبلاد السند .
(١٢) سرنديب : هى سيلان (سيرلانكا) .
(١٣) بلد فى بلاد الهند وبها صنم يعظمونه .
(١٤) الكتيفية والخليدية والحربية : فرق وطوائف .
(١٥) مقلاس وصخر ومصخر وفأس ورأس هم عبارة عن رؤساء عصابات اللصوص .
(١٦) الغربى نوع من الشجر ما أصابته الشمس بحرها عند عند أفوفها ، ونوع من الخمر .
(١٧) البارد .
(١٨) نوع من الورد .
(١٩) الخزروف يلعب به الصبيان وهو المعروف فى بلاد الشام بالبلبل والصياح .

وأنت غلام لسانك فوق عقلك[1] ، وذكاؤك فوق حزمك . لم تعجمك الضراء . ولم تزل فى السراء . والمال واسع ، وذرعك ضيق وليس شىء أخوف عليك عندى من حسن الظن بالناس . فإنهم شمالك على يمينك[2] ، وسمعك على بصرك[3] . وخف عباد الله على حسب ما ترجو الله ، فأول ما وقع فى روعى أن مالى محفوظ على . وأن النماء لازم لى . وأن الله سيحفظ عقبى من بعدى .

إنى ما غلبتنى يومًا شهوتى ، وأخرجت يومًا درهمًا لقضاء وطرى . ووقعت عينى على سكتة[4] . وعلى اسم الله المكتوب عليه ، قلت فى نفسى : إنى أذن لمن الخاسرين الضالين ، لئن أنا أخرجت من بين يدى ومن بيتى شيئًا عليه (لا إله إلا الله) أخذت بدله شيئًا ليس عليه شىء ! والله إن المؤمن لينزع خاتمه للأمر يريده ، وعليه « حسبى الله » أو « توكلت على الله » . فيظن أنه قد خرج من كنف الله ـ جل ذكره ـ ، حتى يرد له الخاتم فى موضعه . وإنما هو خاتم واحد ، وأنا أريد أن أخرج فى كل يوم درهمًا عليه الإسلام[5] كما هو ! إن هذا لعظيم .

ومات[6] من ساعته . وكفنه ابنه ببعض خلقانه[7] . وغسله بماء البئر . ودفنه من غير أن يصرخ له ، أو يلحد له[8] ورجع . فلما صار فى المنزل ، نظر إلى جرة خضراء معلقة ، قال : أى شىء فى هذه الجرة ؟ قالوا : ليس اليوم فيها شىء . قال : فأى شىء كان فيها قبل اليوم ؟ قالوا : سمن . قال : وما كان يصنع به ؟ قالوا : كنا فى الشتاء نلق له فى البرمة شيئًا من دقيق نعمله له ، فكان ربما برقه بشىء من سمن[9] . قال : يقولون ولا يعقلون . السمن أخو العسل ، وهل أفسد الناس أموالهم إلا فى السمن والعسل ! والله إنى لولا أن للجرة ثمنًا لما كسرتها إلا على قبره ! قالوا : فخرج فوق أبيه[10] ، وما كنا نظن أن فوقه مزيدا .

* * *

المخطرانى[11]: الذى يأتيك فى زى ناسك . ويريك أن « بابك »[12] قد قور لسانه[13] من أصله ، لأنه كان مؤذنًا هناك . ثم يفتح فاه . كما يصنع من يتثاءب ، فلا ترى له لسانًا البتة ، ولسانه فى الحقيقة كلسان الثور . وأنا أحد من خدع بذلك . ولابد للمخطرانى أن يكون معه واحد

---

(١) بمعنى ان قولك يسبق تفكيرك .
(٢) أى أنهم لشرهم كاليد الشمال تطغى على اليمين .
(٣) أى يطغى تأثيرهم فيك كما يطغى السمع على البصر .
(٤) نقشه .
(٥) كما كتب على الدرهم .
(٦) توفى .
(٧) ثيابه البالية .
(٨) أى يجعل له ضريحًا .
(٩) جعل فيه قليلاً من السمن .
(١٠) أى فاق آباءه فى البخل .
(١١) يبدأ الجاحظ هنا فى شرح الكلمات التى سبقت على لسان خالويه .
(١٢) ملك من ملوك الفرس .
(١٣) قطعه .

يعبر عنه ، أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شانه وقصته .

والكاغانى : الذى يتجنن ويتصارغ[1] ويزبد ، حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له ، لشدة ما ينزل بنفسه ، وحتى يتعجب من بقاء مثله على علته .

والبانوان : الذى يقف على الباب ويسل الغلق[2] ويقول : « بانوا » وتفسير ذلك بالعربية : يا مولاى .

والفرسى : الذى يعصب ساقه وذراعه عصبًا شديدًا ويبيت على ذلك ليلة ، فإذا تورم واختنق الدم ، مسحه بشىء من صابون ودم الأخوين[3] وقطر عليه شيئًا من سمن ، وأطبق عليه خرقة ، وكشف بعضه ، فلا يشك من رآه أن به الإكلة[4] ، أو بليةشبه الإكلة .

والمشعب : الذى يحتال للصبى حين يولد بأن يعميه أو يجعله أعسم[5] أو أعضد[6] ، ليسأل الناس به أهله . وربما جاءت به أمه وأبوه ليتولى ذلك منه بالغرم الثقيل[7] ، لأنه يصير حينئذ عقدة وغلة[8] ، فإما أن يكتسبا به ، وإما أن يكرياه بكراء معلوم ، وربما أكروا أولادهم ممن يمضى إلى أفريقية ، فيسأل بهم الطريق أجمع ، بالمال العظيم . فإن كان ثقة مليئًا[9] ، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلاً .

والفلور : الذى يحتال لخصيتيه حتى يريك أنه آدر ، وربما أراك أن بهما سرطانًا أو خراجًا أو عربا[10]، وربما أرى ذلك فى دبره بأن يدخل فيه حلقومًا ببعض الرئة ، وربما فعلت ذلك المرأة بفرجها .

والكاخان : الغلام المكدى ، إذا واجر[11]، وكان عليه مسحة جمال ، وعمل العملين جميعًا .

والعوراء : الذى يسأل بين المغرب والعشاء ، وربما طرب إن كان له صوت حسن وخلق شجى .

والإسطيل : هو المتعامى إن شاء أراك أنه منخسف العينين ، وإن شاء أراك أن بهما ماء ، وإن

---

(١) يتظاهر بأنه مصروع .
(٢) يخرج القفل من الباب حتى ينفتح .
(٣) صمغ شجرة .
(٤) الحكة والجرب .
(٥) اعوج اليد من العسم وهو يبس فى مفصل الرسغ .
(٦) دقة العضد .
(٧) أى ليصنع له عاهة بأجر كبير .
(٨) أى يغل ربحًا .
(٩) أن كان المكترى غنيًا . وجواب الشرط محذوف . أن نقدهم فورًا وربما .
(١١) أجر نفسه .

شاء أراك أنه لا يبصر للخسف ، ولريح السبل[1]

والمزيدى : الذى يدور ومعه الدريهمات ، يقول : هذه دراهم قد جمعت لى فى ثمن قطيفة ، فزيدونى فيها رحمكم الله ! وربما احتمل صبيًا على أنه لقيط . وربما طلب فى الكفن[2] .

والمستعرض : الذى يعارضك ، وهو ذو هيئة وفى ثياب صالحة ، وكأنه قد مات من الحياء ، ويخاف أن يراه معرفة ، ثم يعترضك اعتراضًا ، ويكلمك خفيًا .

والمعدس : الذى يقف على الميت يسأل فى كفنه ، ويقف فى طريق مكة على الحمار الميت ، والبعير الميت ، يدعى أنه كان له ، ويزعم أنه قد أحصر[3] ، وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والافريقية ، وتعرف تلك المدن والسكك والرجال . وهو متى شاء كان أفريقيا ومتى شاء كان من أهل فرغانة ، ومتى شاء كان من أى مخاليف[4] اليمن شاء .

والمكدى صاحب الكِداء .

والكعبى : أضيف إلى أبى كعب الموصلى ، وكان عريفهم بعد خالوية سنة على ماء[5]

والزكورى : هو خبز الصدقة ، كان على سجين أو على سائل .

هذا تفسير ما ذكر خالوية فقط ، وهو أضعاف ما ذكرناه فى العدد ، ولم يكن يجوز أن نتكلف شيئًا ليس من الكتاب فى شىء .

* يحيى بن عبد الله وقصته :

رفع يحيى بن عبد الله بن خالد بن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد رغيفًا من خوانه بيده : ثم رطله[6] ، والقوم يأكلون ، ثم قال : يزعمون أن خبزى صغار ، أى ابن زانية يأكل من هذا الخبز رغيفين ؟

* خوان فلان :

وكنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن يسار النظام وقطرب النحوى وأبو الفتح ، مؤدب منصور بن زياد ، على خوان فلان بن فلان ، والخوان من جزعة[7] ، والغضار[8] صيى

(١) داء يصيب العين .
(٢) أى ثمن كفن الميت له .
(٣) لم يستطع السير لموت دابته .
(٤) مدن أو قرى .
(٥) أى تزعمهم لمدة سنة وهم مقيمون على غديره أو نحوه .
(٦) وزنه .
(٧) أى من رخام مجزع مقطع بألوان مختلفة .
(٨) الطين الذى يصنع منه الخزف . والمقصود الصحاف .

ملمع ، أو خلنجية[1] كماكية[2] ، والألوان طيبة شهية ، وغذية قذية ، وكل رغيف فى بياض الفضة ، كأنه البدر ، وكأنه مرآة مجلوة ، ولكنه على قدر عدد الروؤس ، فأكل كل إنسان رغيفه إلا كسرة ، ولم يشبعوا فيرفعوا أيديهم ، ولم يغذوا بشىء فيتموا أكلهم ، والأيدى معلقه ، وإنما هم فى تنقير وتنقيب . فلما طال ذلك عليهم ، أقبل الرجل على أبى الفتح ـ ونحت القصعة رقاقة ـ فقال : يا أبا الفتح ! خذ ذلك الرغيف فقطعه واقسمه على أصحابنا . فتغافل أبو الفتح ! ثم أعاد عليه القول ، فتغافل ! فلما أعاد عليه القول الرابعة قال : مالك ويلك لا تقطعه بينهم ؟ قطع الله أوصالك ! قال : تبتلى على يدى غيرى أصلحك الله ! فخجلناه مرة ، وضحكناه مرة ، وما ضحك صاحبنا وما خجل

وزرته أنا والمكى ، وكنت أنا على حمار مكارى ، والمكى على حمار مستعار ، فصار الحمار إلى أسوأ من حال المزود[3] ، فكلم المكى غلمانه[4] فقال : لا أريد منكم التبن فما فوقه ، أسقوه ماء فقط ، فسقوه ماء بئر فلم يشربه الحمار وقد مات عطشا ، فأقبل المكى عليه فقال : أصلحك الله ! إنهم يسقون حمارى ماء بئر ، ومنزل صاحب الحمار على شارع دجلة ، فهو لا يعرف إلا العذب ، قال : فامزجه له ياغلام ! فمزجه فلم يشربه ، فأعاد المسألة ، فأمكنه[5] منأذن من لا يسمع إلا ما يشتهى .

وقال لى مرة : يا أخى إن ناسًا من الناس ، يغمسون اللقمة إلى أصبارها[6] فى المرى[7] ، فأقول : هؤلاء قوم يحبون الملوحة ، ولا يعجبون بالحامض ! فما ألبث أن أرى أحدهم يأخذ حرف الجرذقة[8] ، فيغمسها فى الخل الحاذق ، ويغرقها فيه ! وربما رأيت أحدهم يمسكها فى الخل بعد التغريق ساعة ، فأقول : هؤلاء قوم يجمعون حب الحموضة إلى حب الملوحة ! ثم لا ألبث أن أراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل ، والخردل لا يرام . قل لى : أى شىء طبائع هؤلاء ؟ وأى ضرب هم ؟ وما دواؤهم ؟ وأى شىء علاجهم ؟ فلما رأيت مذهبه وحمقه ، وغلبة البخل عليه وقهره له قلت .ما لهم عندى علاج هو أنجع فيهم من أن يمنعوا الصباغ[9] كله ! قال : لا والله ! إن هو غيره[10] .

* تغريم الدينار :

وصديق لنا آخر كنا قد ابتلينا بمؤاكلته ، وقد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل على الطعام ،

---

(١) منسوبة إلى خلنج : شجر تصنع من الأوانى ، والمعنى أن الصحاف إما صينية أو خلنجية .
(٢) نسبة إلى كماك : ولاية فى حدود الصين .
(٣) أى بسبب المزود الخالى من العلف .
(٤) غلمان الرجل الذى يزورونه .
(٥) الضمير عائد إلى المسألة بمعنى السؤال .
(٦) جميع نواحيها .
(٧) المكامخ (السلطة)
(٨) الرغيف ، وهى كلمة معربة .
(٩) ما يصبغ به الخبز من الخل ونحوه .
(١٠) أى أنه غير ما قلت . وهو ان يمنعوا من الصباغ وغيره .

وهجس ذلك فى نفسه ، وتوهم أنا قد تذاكرنا أمره . فكان يتزيد فى تكثير الطعام وفى إظهار الحرص على أن يؤكل ، حتى قال : من رفع يده قبل القوم غرمناه دينارًا ! فيرى بعضهم إن غرم دينارًا[1] أو ظاهر لائمته[2] محتمل فى رضا قلبه ، وما يرجو من نفع ذلك له[3] ؟

* خباز لا يقوم بعمله :

ولقد خبرنى خباز لبعض أصحابنا أنه جلده على إنضاج الخبز ، وأنه قال له : أنضج خبزى الذى يوضع بين يدى واجعل خبز من يأكل معى على مقدار بين المقدارين[4] ، وأما خبز العيال والضيف فلا تقربنه من النار إلا بقدر ما يصير العجين رغيفًا وبقدر ما يتماسك فقط . فكلفه العويص فلما أعجز ذلك جلده حد الزانى الحر[5] .

* وجلدوا الشواء :

فحدثت بهذا الحديث عبد الله العروضى ، فقال : ألم تعرف شأن الجدى ؟ ضرب[6] الشواء ثمانين سوطًا لمكان الانضاج[7] ! وذلك أنه قال له ضع الجدى فى التنور حين نضع الخوان . حتى استبطئك أنا فى انضاجه ، وتقول أنت : بقى قليل ! ثم تجيئنا به وكأنى قد أعجلتك ، فإذا وضع بين أيديهم غير منضج احتسبت عليهم باحضار الجدى ، فإذا لم يأكلوه أعدته إلى التنور ، ثم أحضرتناه الغد باردا ، فيقوم الجدى الواحد مقام جديين فجاء به الشواء يومًا نضجاً : فغضب فيه القوم . فجلده ثمانين جلدة . جلد القاذف الحر !.

* صديق ضخم البدن :

وحدثنى أحمد بن المثنى ، عن صديق لى وله ، ضخم البدن كثير العلم ، فاشى الغلة[8] عظيم الولايات أنه : إذا دعا على مائدته بفضل[9] دجاجة ، أو بفضل رقاق ، أو غير ذلك . الخادم مع الخباز إلى القهرمان[10]، حتى يصك له[11] بذلك إلى صاحب المطبخ .

ولقد رأيته مرة وقد تناول دجاجة فشقها نصفين ، فألقى نصفها إلى الذى عن يمينه ، ونصفها إلى الذى عن شماله ، ثم قال : يا غلام ! جئنى بواحدة رخصة[12]، فإن هذه كانت عضلة جدًا

---

(١) بعضه أى تشفيه ممن غرمه إن غرم أحدٌ.
(٢) لومه الظاهر.
(٣) أى يسر فى نفسه الرضا لما يحصله من نفع.
(٤) على حال وسط.
(٥) غير العبد ، الحر يجلد مائة جلدة . والعبد خمسين.
(٦) أى بعض أصحابنا.
(٧) بسببه.
(٨) غنيًا تغل أملاكه كثيرًا.
(٩) بزيادة.
(١٠) القائم على المخزن.
(١١) يكتب له صكًا (وصلاً).
(١٢) طريه.

فحسبت أن أقل ما عند الرجلين أن لا يعودا إلى مائدته أبدًا ، فوجدتهما قد فخرا على بما حباهما به من ذلك دونى .

وكانوا[1] ربما خصوه ، فوضعوه بين يديد الدراجة[2] السمينة ، والدجاجة الرخصة ، فأنطفأت الشمعة فى ليلة من تلك الليالى فأغار على الأسوارى على بعض ما بين يديه ، واغتنم الظلمة وعمل على أن الليل أخفى للويل ، ففطن له ، وما هو بالفطن إلا فى هذا الباب . وقال : كذلك الملوك كانت لا تأكل مع السوقة .

وحدثنى أحمد بن المثنى : أنهم كانوا يعمدون إلى الجراذق[3] التى ترفع عن مائدته ، فما كان منها ملطخًا ذلك دلكًا شديدًا ، وما كان منها قد ذهب جانب منه ، قطع بسكين من ترابيع الرغيف مثل ذلك ، لئلا يشك من رآه أنهم قد تعمدوا ذلك ، وما كان من الأنصاف والأرباع جعل بعضه للثريد وقطع بعضه كالأصابع ، وجعل مع بعض القلايا[4]

* رجل فخم اللفظ :

ولقد رأيت رجلاً ضخمًا ، فخم اللفظ ، فخم المعانى ، تربية فى ظل ملك ، مع علم جم ، ولسان عضب ، ومعرفة بالغامض من العيوب ، والدقيق من المحاسن ، مع شدة تسرع إلى أعراض الناس ، وضيق صدر بما يعرف من عيوبهم ، وإن ثريدته لبلقاء[5] ، إلا أن بياضها ناصع ، ولونها الآخر أصهب[6] . ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين . وكنت قد هممت قبل ذلك أن أعاتبه على الشىء يستأثر به ، ويخص به ، وأن احتمل ثقل تلك النصيحة وبشعتها ، فى حظه وفى النظر له[7] . ورأيت أن ذلك لا يكون إلا من حاق الأخلاص[8] ، ومن فرط الإخاء بين الإخوان . فلما رأيت البلقة هان على التحجيل والغرة[9] ، ورأيت أن ترك الكلام أفضل ، وأن الموعظة لغو .

وقد زعم أبو الحسن المدائنى أن ثريدة مالك بن المنذرة كانت بلقاء ، ولعل ذلك أن يكون باطلاً . وأما أنا فقد رأيت بعينى من هذا الرجل ما أخبرك به ، وهذا الشىء لم أره إلا فيه ،

---

(١) اى من يخدمون على المائدة .
(٢) نوع من الطير .
(٣) الارغفة .
(٤) جمع قيلة وهى المرقة .
(٥) فيها بياض وحمرة .
(٦) محمر .
(٧) من أجل خيره ومنفعته .
(٨) صادقة .
(٩) التحجيل : بياض فى قوائم الفرس يصل إلى الساق ، والغرة : بياض فى جبهة الفرس ، والبلقة : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين . يقول : إنه كان يريد أن يعاتبه على الاستئثار فلما رأى بخلة هان عليه الاستئثار ومثل لذلك بالبلقة التى يهون إلى جانبها التحجيل والغرة .

ولا سمعت به فى غيره .

ولسنا من تسمية الأصحاب[1] ، المتهتكين ، ولا غيرهم على المستوردين فى شىء . أما الصاحب فأنا لا نسميه لحرمته وواجب حقه ، والآخر لا نسميه لستر الله عليه ، ولما يجب لمن كان فى مثل حاله . وإنما نسمى من خرج من هاتين الحالين ، ولربما سمينا الصاحب إذا كان ممن يمازح بهذا كثيرًا ، ورأيناه يتظرف به ، ويجعل ذلك الظرف سلمًا إلى منع شينه !

* قصة جعفر الطرطوسى :

ولم أر مثل أبى جعفر الطرطوسى :

زار قومًا فأكرموه وطيبوه ، وجعلوا فى شاربه وسبلته غالية[2] فحك بها شفتة العليا . فأدخل أصبعه فحكها من باطن الشفة . مخافة أن يأخذ أصبعه من الغالية شيئًا إذا حكها من فوق .

وهذا وشبه إنما يطيب جدًا إذا رأيت الحكاية بعينك ، لأن الكتاب لا يصور لك كل شىء ، لا يأتى لك على كنهه ، وعلى حدوده وحقائقه .

* قصة الجزامى[3] :

وأما أبو محمد الحزامى ، عبد الله بن كاسب ، كاتب مويس ، وكاتب داود بن أبى داود ، فإنه كان أبخل من برأ الله ، وأطيب من برأ الله ، وكان له فى البخل كلام . وهو أحد من ينصره ويفضله . ويحتج له ، ويدعو إليه .

وإنه رآنى مرة فى تشرين الأول ، وقد بكر البرد شيئًا فلبست كساء لى قومسيا[4] خفيفًا قد نيل منه ، فقال لى : ما أقبح السرف بالعاقل ، وأسمج الجهل بالحكيم ! ما ظننت أن إهمال النفس ، وسوء السياسة[5] ، بلغ بك ما أرى . قلت : وأى شىء أنكرت منا منذ اليوم ؟ وما كان هذا قولك فينا بالأمس ؟ فقال : لبسك هذا الكساء قبل أوانه . قلت : قد حدث من البرد بمقداره ، ولو كان هذا البرد الحادث فى تموز وآب لكان إبانا لهذا الكساء . قال : إن كان ذلك كذلك ، فاجعل بدل هذه المبطنة[6] جبة محشوة ، فإنها تقوم هذا المقام ، وتكون قد خرجت من الخطأ فأما لبس الصوف اليوم ، فهو غير جائز ! قلت : ولم ؟ قال : لأن غبار آخر الصيف يتداخله ،

---

(١) يقصد البخلاء المجاهرين .
(٢) المقصود بالسبلة ، والغالية : نوع من الطيب .
(٣) اسمه : عبد الله بن كاسب . ابو محمد الحزامى ، عمل كاتبًا لدى أكثر من مشهور أشهم داوود بن أبى داوود .
(٤) مصنوع فى (قومس) . (٥) تدبير الأمور . (٦) ذلك الكساء .

ويسكن فى خله ، فإذا أمطر الناس ، وندى الهواء . وابتل كل شىء ، ابتل ذلك الغبار ! وإنما الغبار تراب ، إلا أنه لباب التراب ، وهو مالح ويتقبض عند ذلك عليه الكساء ويتكرش ، لأنه صوف ، فتنضم أجزاؤه عليه ، فيأكله أكل القادح[1] ، ويعمل فيه عمل السوس ! ولهو أسرع فيه من الأرضية فى الجذوع النجرانية[2] ! ولكن أخر لبسه حتى إذا أمطر الناس وسكت الغبار ، وتلبد التراب ، وحط المطر ما كان فى الهواء من الغبار ، وغسله وصفاه ، فألبسه حينئذ على بركة الله .

وكان يقع إلى عياله بالكوفة كل سنة مرة ، فيشترى لهم من الحب مقدار طحينهم ، وقوت سنتهم ، فإذا نظر إلى حب هذا ، وإلى حب هذا ، وقام على سعره ، اكتال من كل واحد منها كيلة معلومًا وزنها بالميزان ، واشترى أثقلها وزنًا . وكان لا يختار على البلدى والموصل شيئًا ، إلا أن يتقارب السعر . وكان على كل حال يفرض من الميسانى[3] ، إلا أن يضطر إليه ؛ ويقول : هو ناعم ضعيف ، ونار المعدة شيطان ، فإنما ينبغى لنا أن نطعم الحجر . وما أشبه الحجر . وقلت له مرة : أعلمت أن الخبز البلدى ينبت عليه شىء شبيه بالطين والتراب والغبار المتراكم ؟ قال : حبذا ذلك من خبز ، وليته قد أشبه الأرض بأكثر من هذا المقدار[4] .

وكان إذا لبس جديد القميص ومغسوله ، ثم أتوه بكل بخور فى الأرض ، لم يتبخر مخافة أن يسود دخان العود بياض قميصه ، فإن اتسخ ، فأتى بالبخور ، لم يرض بالتبخر ، واستقصاء ما فى العود من القتار[5] ، حتى يدعو بدهن ، فيمسح به صدره وبطنه وداخلة أزاره ، ثم يتبخر ليكون أعلق للبخور .

وكان يقول : حبذا الشتاء ، فإنه يحفظ عليك رائحة البخور ، ولا يحمض فيه النبيذ إن ترك مفتوحًا ، ولا يفسد فيه مرق إن بقى أيامًا .

وكان لا يتبخر إلا فى منازل أصحابه ، فإذا كان فى الصيف دعا بثيابه فلبسها على قميصه لكيلا يضيع من البخور شىء .

وقال مرة : إن للشيب سهكة[6] وبياض الشعر هو موته ، وسواده حياته . ألا نرى أن موضع دبرة[7] الحمار الأسود لا ينبت إلا أبيض ؟ والناس لا يرضون منا فى هذا العسكر[8] إلا بالعناق

(١) حشره .
(٢) جذوع شجر نجران .
(٣) أى من الحب المنسوب إلى ميسان .
(٤) ليكون عسير الهضم .
(٥) الدخان الذى يخرج من العود .
(٦) رائحة كريهة .
(٧) قرحة .
(٨) البلد :

واللئام ، والطيب غال ، وعادته رديئة[1] ، وينبغى لمن كان أيضًا عنده أن يحرسه ويحفظه من عياله ، وإن العطار ليختمه[2] على أخص غلمانه به . فلست أرى شيئًا هو خير من اتخاذ مشط صندل . فإن ريحه طيبة . والشعر سريع القبول ، وأقل ما يصنع أن ينفى سهك الشيب ! فصرنا فى حال « لا » لنا ولا علينا[3] فكان عطر الخزامى ـ إلى أن فاروق الدنيا ـ مشط صندل ، إلا أن طيبة صديق .

واستلف منه على الأسوارى مائة درهم . فجائنى وهو حزين منكسر . فقلت له : إنما يحزن من لا يجد بدا من إسلاف الصديق ، مخافة ألا يرجع إليه ماله ! ولا يعد ذلك هبة منه ! أو رجل يخاف الشيكة[4] . فهو إن لم يسلف كرمًا أسلف خوفًا . وهذا[5] باب . الشهرة فيه من قرة عينك . وأنا واثق باعتزامك وتصميمك وبقلة المبالاة بتبخيل الناس لك ، فما وجه انكسارك واغتمامك ؟ قال : اللهم غفرا . ليس ذلك بى . إنما فى أنى قد كنت أظن أن اطلاع الناس قد صارت بمعزل عنى ، وآيسة منى . وأنى قد أحكمت هذا الباب وأتقنته وأودعت قلوبهم اليأس ، وقطعت أسباب الخواطر . فأرانى واحد منهم[6] ! إن من أسباب إفلاس المرء طمع الناس فيه ، لأنهم إذا طمعوا فيه ، احتالوا له الحيل . ونصبوا له الشرك . وإذا يئسوا منه . فقد أمن . وهذا المذهب من على استضعاف شديد[7] . وما أشك أنى عنده غمر[8] وأنى كبعض من يأكل ماله ! وهو مع هذا خليط وعشير . وإذا كان مثله لم يعرفنى . ولم يتقرر عنده مذهبى ، فما ظنك بالجيران ؟ بل ما ظنك بالمعارف ؟ أرانى أنفخ فى غير فحم . وأقدح بزند مصلد ! ما أخوفنى أن أكون قد قصد إلى بقول . ما أخوفنى أن يكون الله فى سمائه قد قصد إلى أن يفقرنى .

قال : ويقولون : ثوبك على صاحبك أحسن منه عليك . فما يقولون إن كان أقصر منى ؟ أليس يتخبل فى قميصى ؟ وإن كان طويلاً جدًا وأنا قصير جدًا . فلبسه ، أليس يصير آية للسابلين[9] ؟ فمن أسوأ أثرًا على صديقه ممن جعله ضحكة للناس ؟ وما ينبغى لى أن أكسوه حتى أعلم أنه فيه مثلى ! ومتى يتفق هذا ، وإلى ذلك محيا ومات ؟[10].

وكان يقول : أشتهى اللحم الذى تهرأ ، واشتهى أيضًا الذى فيه بعض الصلابة ! وقلت له مرة : ما أشبهك بالذى قال : اشتهى لحم دجاجتين ! قال : وما تصنع بذلك القائل ؟ هو ذا أنا

---

(١) لأنه يكلف مالاً .
(٢) يختم عليه .
(٣) ملائمة لنا ولا كلفة فيها علينا .
(٤) يخاف المشكو منه لشدة بأسه .
(٥) البخل .
(٦) أى أن الأسوارى بما صنعه أراه واحدًا من أولئك الناس .
(٧) أى أنه يستضعفنى ويستلف منى .
(٨) لا يفهم الأمور (عبيط أو أبله) .
(٩) سخرية لأهل السبل .
(١٠) إلى أن يتم ذلك تحيا ناس وتموت ناس .

أشتهى لحم دجاجتين ، واحدة خلاسية[1] مسمنة ، وأخرى خوامزكة[2] رخصة .

وقلت له مرة : قد رضيت بأن يقال : عبد الله بخيل ؟ قال : لا أعدمنى الله هذا الأسم ! قلت : وكيف ؟ قال : « لأنه » لا يقال فلان بخيل ، إلا وهو ذو مال ! فسلم إلىّ المال ، وادعنى بأى اسم شئت ! قلت : ولا يقال أيضًا فلان سخى ، إلا وهو ذو مال . فقد جمع هذا الأسم الحمد والمال ، واسم البخـل يجمع المال والذم ، فقد اخترت أخسهما وأوضعهما . قال : وبينهما فرق ! قلت : فهاته ، قال : فى قولهم بخيل تثبيت لاقامة المال فى ملكه ، وفى قولهم سخى ، إخبارك عن خروج المال من ملكه ، واسم البخيل اسم فيه حفظ وذم ، واسم السخى اسم فيه تضييع وحمد ! والمال زاهر نافع مكرم لاهله معز ، والحمد ريح وسخرية ، واستماعك له ضعف وفسولة[3] . وما أقل غناء الحمد ـ والله ـ عنه إذا جاع بطنه ، وعرى جلده ، وضاع عياله ، وشمت به من كان يحسده .

وكنا عند داود بن أبى داود بواسط ، أيام ولايته كسكر ، فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس[4] ، فقسمها بيننا ، فكل ما أخذ منها الحزامى أعطى غيره ، فأنكرت ذلك من مذهبه ولم أعرف جهة تدبيره ، فقلت للمكى : قد علمت أن الحزامى إنما يجزع من الإعطاء ، وهو عدوه ، فأما الأخذ ، فهو ضالته وأمنيته ، وأنه لو أعطى أفاعى سجستان ، وثعابين مصر وحيات الأهواز ، لأخذها إذا كان اسم الأخذ واقعًا عليها ! فعساه أراد التفضيل فى القسمة[5] . قال : أنا كاتبه ، وصداقتى أقدم ، وما ذلك به . وإن ههنا أمرًا ما نقع عليه[6] ! فلم يلبث أن دخل علينا ، فسألته عن ذلك ، فتعصر[7] قليلاً ، ثم باح بسره ، قال : وضيعته[8] أضعاف ربحه ، وأخذه عندى من أسباب الإدبار . قلت : أول وضائعه احتمال السكر ؟ قال : هذا لم يخطر لى قط على بال . قلت فهات اذن ما عندك قال : أول ذلك كراء الحمّال ، ثم هو على خطر حتى يصير إلى المنزل ، فإذا صار إلى المنزل ، صار سببًا لطلب العصيدة والأرز والبستندود[9] . فإن بعته فرارًا من هذا صيرتمونى شهرة ، وتركتمونى عنده آية ! وإن أنا حبسته ذهب فى العصائد وأشباه العصائد ، وجذب ذلك شراء السمن ، ثم جذب السمن غيره ، وصار هذا الدبس أضر علينا من العيال ، وإن أنا جعلته نبيذًا احتجت إلى كراء القدور ، وإلى شراء الحب[10] . وإلى

---

(١) مجنسة من ديك هندى ودجاجة فارسية أو العكس .
(٢) نوع جيد .
(٣) نذالة .
(٤) الزقاق : جمع زق وهو يشبه القربة ، والدبس عسل التمر .
(٥) أى لعله رأى أن زاد فضل غيره عليه فى القسمة فغضب عليه
(٦) ما نهتدى إليه .
(٧) فتمنع .
(٨) خسارته أى خسارة الدبس .
(٩) نوع من الفطير .
(١٠) الحب هو الجرة .

شراء الماء ، وإلى كراء من يوقد تحته ، وإلى التفرغ له . فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها . وغرمنا ثمن الأشنان والصابون ، وازدادت فى الطعام على قدر الزيادة فى العمل . فإن فسد ذهبت النفقة باطلاً ، ولم نستخلف منها عوضًا بوجه من جميع الوجوه ، لأن خل الداذى يخضب اللحم ويغير الطعم ، ويسود المرق ، ولا يصلح إلا للاصطباغ وهذا إذا استحال خلاً[1] ، وأكثر ذلك أن يحول عن النبيذ ولا يصير إلى الخل . وإن سلم ـ وأعوذ بالله ـ وجاد وصفا ، لم نجد بدًا من شربه ، ولم تطب أنفسنا بتركه ، فإن قعدت فى البيت أشربه منه .

لم يمكن إلا بترك سلاف الفارسى[2] المعسل ، والدجاج المسمن وجداء كسكر[3] ، وفاكهة الجبل ، والنقل الهش والريحان الغض ، عند من لا يغيض ماله ، ولا تنقطع مادته ، وعند من لا أبالى على أى قطرية سقط[4] ، مع فوت الحديث المؤنس ، والسماع الحسن . وعلى أنى إن جلست فى البيت أشربه ، لم يكن لى بد من واحد ، وذلك الواحد لابد له من دريهم لحم ، ومن طسوج[5] نقل ، وقيراط ريحان ، ومن أبذار[6] للقدر ، ومن حطب للوقود ! وهذا كله غرم . وهو بعد هذا شؤم وحرقة[7] ، وخروج من العادة الحسنة . فإن كان ذلك النديم غير موافق ، فأهل الحبس أحسن حالاً منى ! وإن كان ـ وأعوذ بالله ـ موافقًا ، فقد فتح الله على مالى بابًا من التلف . لأنه حينئذ يسير فى مالى كسيرى فى مال من هو فوقى . وإذا علم الصديق أن عندى داذيًا أو نبيذًا ، دق الباب دق المدل[8] ، فإن حجباه فبلاء وإن أدخلناه فشقاء .

وإن بدا لى فى استحسان حديث الناس ، كما يستحسنه منى من أكون عنده ، فقد شاركت المسرفين ، وفارقت إخوانى من المصلحين ، وصرت من إخوان الشياطين . فإذا صرت كذلك ، فقد ذهب كسبى عن مال غيرى ، وصار غيرى يكتسب منى وأنا لو ابتليت بأحدهما لم أقم له ، فكيف إذا ابتليت بأن أعطى ولا آخذ ! أعوذ بالله من الخذلان بعد الصمة ، ومن الحور بعد الكور . لو كان هذا فى الحداثة كان أهون .

هذا الدوشاب[9] دسيس من الحرفة[10]، وكيد من الشيطان وخدعة من الحسود ، وهو الحلاوة التى تعقب المرارة ! ما أخوفنى أن يكون أبو سليمان قد مل منادمتى ، فهو يحتال لى الحيل .

---

(١) خمر .

(٢) جداء : جمع جدى . وكسكر : بلد .

(٣) قال ابن مسعود : لا يعجبنك مـا تـرى من المرء حتى تنظر على أى فطر يقع . أى على أى شقيه ، أعلى شق الإسلام أو غيره .

(٤) من وحدات الوزن .

(٥) جمع بزر وهو التابل .

(٦) فقر .

(٧) الذى يجرؤ لصداقته (لعشمه) .

(٨) لم احتمله .

(٩) الدبس .

(١٠) رسول من الفقر .

وكنا مرة فى موضع حشمة ، وفى جماعة كثيرة ، والقوم سكوت ، والمجلس كبير ، وهو[1] بعيد المكان منى ، فأقبل على المكى وقال ـ والقوم يسمعون ـ فقال : يا أبا عثمان ! من أبخل أصحابنا ؟ قلت أبو الهذيل . قال : ثم من ؟ قلت : صاحب لنا لا أسميه . قال الخزامى من بعيد : إنما يعنينى ! ثم قال : حسدتم للمقتصدين تدبيرهم ، ونماء أموالهم ، ودوام نعمتهم ، فالتمستم تهجينهم بهذا اللقب ، وأدخلتم المكر عليهم بهذا النبز[2] . تظلمون المتلف لماله باسم الجود ، إدارة له شينة وتظلمون المصلح لما له باسم البخل ، حسدًا منكم لنعمته ! فلا المفسد ينجو ولا المصلح يسلم .

* حديث خالد بن القسرىّ :

قال ابو عبيدة : بلغ خالد بن عبد الله القسرى ، أن الناس يرمونه بالبخل على الطعام . فتكلم يومًا ، فما زال يدخل كلامًا فى كلام ، حتى أدخل الاعتذار من ذلك فى عرض كلامه ، فكان مما احتج به فى شدة رؤية الأكيل[3] عليه ، وفى نفوره منه ، أن قال : نظر خالد المهزول فى الجاهلية يومًا ، إلى ناس يأكلون ، وإلى إبل تجتر . فقال لأصحابه : أترونني بمثل هذه العين التى رى بها الناس والإبل ؟ قالوا : نعم ! فحلف بإلهه أن لا يأكل بقلاً ، وإن مات هزالاً [4] ، وكان يغتذى اللبن ويصيب من الشراب ، فأضمره ذلك ، وأيبسه ، فلما دق جسمه واشتد هزاله ، سمى : المهزول .

ثم قال خالد : هانذا مبتلى بالمضغ ، ومحمول على تحريك اللحيين[5] ، ومضطر إلى مناسبة البهائم ، ومحتمل ما فى ذلك من البسخف والعجز ، ما أبالى ، احتملته فيمن لى منه بد ، ولى عنه مذهب ، ليأكل كل امرىء فى منزله ، وفى موضع أمنه ، وأنسه ودون ستره وبابه .

هذا ما بلغنا عن خالد بن عبد الله القسرى ، واحتجاجه .

فأما خالد المهزول فهو أحد الخالدين ، وهما سيدا بنى أسد ، وفيه وفى ابن نضلة يقول الأسود ابن يعفر :

وقبلك مات الخالدان كلاهما : عميد بنى حجوان وابن المضلل[6]

---

(١) الخزامى .
(٢) النبز : التعبير بالألقاب ، والمعنى أنكم أدخلتم المكر فى لقب (البخيل) . (٥) عظم الحنك الأعلى والأسفل .
(٣) الذى يؤاكل .
(٤) فى بعض النسخ : هزلاً .
(٦) جاء فى اللسان : قال ابن برى : صواب إنشاده : (فقبلى) بالفاء ، لأن قبله :

فإن يك يومى قد دنا وإخاله كواردة يومًا إلى ظمء منهل

وعميد بنى حجوان هو خالد بن نضلة بن الأشتر . وابن المضلل هو خالد المهزول . وقال فى اللسان : ومضلل بفتح اللام . اسم رجل من أسد .

* قصة الحارثى :

وقيل للحارثى بالأمس :

والله إنك لتصنع الطعام فتجيده . وتعظم عليك النفقة ، وتكثر منه . وإنك لتغالى[1] بالخباز والطباخ والشواء والخياص[2] ثم أنت ـ مع هذا كله ـ لا تشهده عدوًا لتغمه . ولا وليًا فتسره . ولا جاهلاً لتعرفه . ولا زائرًا لتعظمه . ولا شاكرًا لتثيبه ، وأنت تعلم حين يتنحى من بين يديك . ويغيب عن عينيك . فقد صار نهبًا مقسمًا . ومتوزعًا مستهلكًا . فلو أحضرته من ينفع شكره . ويبقى على الأيام ذكره . ومن يمتعك بالحديث الحسن والاستماع . ومن يمتد به الأكل ويقصر به الدهر[3] . لكان ذلك أولى بك . وأشبه بالذى قدمته يدك .

وبعد فلم تبيح مصون الطعام لمن لا يحمدك ، ومن أن حمدك لم يحسن أن يحمدك . ومن لا يفصل بين الشهى الغذى . وبين الغليظ الزهم[4] .

قال يمنعنى من ذلك ما قال أبو الفاتك . قالوا : ومن أبو الفاتك ؟ قال : قاضى الفتيان[5] ، وإنى لم آكل مع أحد قط إلا رأيت منه بعض ما ذمه . وبعض ما شنعه وقبحه . فشىء يقبح بالشطار[6] . فما ظنك به إذا كان فى أصحاب المروءات . وأهل البيوتات ؟ قالوا : فما قال أبو الفاتك :

قال : قال أبو الفاتك : الفتى[7] لا يكون نشافًا . ولا نشالاً . ولا مرسالاً . ولا لكامًا ، ولا مصاصًا . ولا نفاضًا . ولا ولاكًا . ولا مقوزًا ، ولا مغربلاً . ولا محلقمًا ، ولا مسوغًا ، ولا مبلعمًا ، ولا مخضرًا . فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطاع . والقطاع ، والنهاش والمداد ، والدفاع ، والمحول ؟ والله إنى لأفضل الدهاقين[8] حين عابوا الحسو[9] ، وتقززوا من التعرق[10] ، وبهرجوا[11] صاحب التمشيش[12] ، وحين أكلوا بالبارجين[13] ، وقطعوا بالسكين . ولزموا عند الطعام السكتة ، وتركوا الخوض واختاروا الزمزمة[14] .

---

(١) تبذل ثمنًا غاليًا .
(٢) صانع الخيص : حلواء .
(٣) يعنى : يؤاكلك مدة طويلة فيؤنسك ويقصر الوقت (١٠) نهش ما على العظم من لحم بحيث لا يبقى عليه شىء .
(٤) المنتن الرائحة .
(٥) المراد عصابة من اللصوص ، وقاضيهم : رئيسهم .
(٦) اللصوص وقطاع الطرق .
(٧) اللص الكامل فى رأيهم . وسيأتى تفسير الجاحظ للصفات التالية (١٤) صوت مبهم .
(٨) جمع دهقان وهو رئيس القرية .
(٩) المرادية هنا شرب المرق من الإناء مباشرة .
(١١) عابوا .
(١٢) استخراج المخ من العظم .
(١٣) الكذب والباطل .

أنا والله أحتمل الضيف والضيفين ، ولا أحتمل اللعموظ [1] ولا الجردبيل [2] والواغل [3] ، أهون علىّ من الراشن [4] ، ومن يشك أن الوحدة خير من جليس السوء وأن جليس السوء خير من أكيل السوء ؟ لأن كل أكيل جليس ، وليس كل جليس أكيلا . فإن كان لابد من المؤاكلة ، ولابد من المشاركة ، فمع من لا يستأثر على بالمخ ، ولا ينتهز بيضة البقلية [5] ، ولا يلتهم كبد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دماغ رأس السلافة [6] ولا يختطف كليه الجدى ، ولا يزدرد قانصة [7] الكركى [8] ، ولا ينتزع شاكلة [9] الحمل ، ولا يقتطع سرة الشصر [10] ، ولا بعرض لعيون الرؤوس ، ولا يستولى على صدور الدحاج ، ولا يسابق إلى إسقاط [11] الفراخ ، ولا يتناول إلا ما بين يديه ، ولا يلاحظ ما بين يدى غيره ، ولا يتشهى الغرائب ، ولا يمتحن الإخوان بالأمور الثمينة ، ولا يهتك أستار الناس بأن يتشهى ما عسى ألا يكون موجودًا .

وكيف تصلح الدنيا ، وكيف يطيب العيش مع من إذا رأى جزورية [12] التقط الأكباد والأسنمة، وإذا عاين بقرية [13] استولى على المرق [14] والقطنة [15] ، وإن أتوا بجنب شواء اكتسح كل شيء عليه ، لا يرحم ذا سن لضعفه ، ولا يرق على حدث لحدة شهوته ، ولا ينظر للعيال ، ولا يبالى كيف دارت بهم الحال .

وإن كان لابد من ذلك [16] ، مع من لا يجعل نصيبه فى مالى أكثر من نصيبى . وأشد من كل ما وصفنا ، وأخبث من كل ما عددنا . أن الطباخ ربما أتى باللون الطريف ، وربما قدم الشيء الغريب ، والعادة فى مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخص [17] ، صغير الحجم ، وليس كالطفيشيلية [18] ولا كالهريسة [19] ولا كالفجلية [20] ولا كالكرنبية [21] وربما عجل عليه فقدمه حارًا ممتنعًا [22] ، وربما كان من جوهر بطيء الفتور [23] . وأصحابى فى سهولة ازدراد الحار عليهم فى طباع النعام [24] ، وأنا فى شدة الحار على فى طباع السباع [25] ، فإن انتظرت إلى أن يمكن [26] أتوا

---

(١) النهم .
(٢) الذى لا يبقى على شيء من الطعام .
(٣) الذى يدخل بدون دعوة .
(٤) الذى يتحين مواعيد الأكل فيفاجيء الأكلين .
(٥) البيضة المقيلة .
(٦) نوع من الطير .
(٧) واحدة القوانص .
(٨) نوع من الطير .
(٩) خاصرة .
(١٠) الظبى القوى .
(١١) أجنحة .
(١٢) لحم جزور .
(١٣) مثل جزورية .
(١٤) القطعة من اللحم .
(١٥) مثل الرمانة تكون مع الكرش .
(١٦) من أن يأكل معى أحد .
(١٧) صغير الحجم .
(١٨) نوع من المرق .
(١٩) الحب المطبوخ .
(٢٠) (٢١) طعام يصنع من الفجل والكرنب .
(٢٢) على الأمن لحرارته .
(٢٣) على طبيعة لا تبرد بسرعة .
(٢٤) أى يسهل عليهم ابتلاع الحار كما يسهل مع النعام .
(٢٥) وانا يصعب على الحار كما يصعب على السباع (٢٦) أى إلى أن يفتر ويمكن أكله .

على آخره ، وإن بدرت مخافة الفوت وأردت ان أشاركهم فى بعضه . لم آمن ضرره ، والحار ربما قتل ، وربما أعقم ، وربما أبال الدم[1] .

ثم قال : هذا على الأسوارى ، أكل مع عيسى بن سليمان بن على ، فوضعت قدامهم سمكة عجيبة ، فائقة السمن . فجلط بطنها جلطة . فإذا هو[2] يكتنز شحمًا ! وقد كان غص بلقمة ، فاستسق[3] . ففرغ من الشراب وقد غرف من بطنها كل إنسان منهم بلقمته غرفة ، وكان عيسى ينتخب الأكلة[4] . ويختار منهم كل ملهوم فيه . ومفتون به . فلما خاف على الأسوارى الإخفاق ، وأشفق من الفوت ـ وكان أقربهم إليه عيسى ـ استلب من يده اللقمة بأسرع من خطفة البازى ، وانكدار العقاب من غير أن يكون أكل عنده قبل مرته ! فقيل له : ويحك ! استلبته لقمة الأمير من يده ، وقد رفعها إليه ، وشحا لها فاه[5] ، من غير مؤانسة ولا ممازحة سالفة ؟ ـ قال : لم يكن الأمر كذلك ، وكذب من قال ذلك ! ولكنا أهوينا أيدينا معًا . فوقعت يدى من مقدم الشحمة ، ووقعت يده من مؤخر الشحمة معا . والشحم ملتبس بالأمعاء ، فلما رفعنا أيدينا معًا ، كنت أنا أسرع حركة ، وكانت الأمعاء ، متصلة غير متباينة ، فتحول كل شىء كان فى لقمته بتلك الجذبة إلى لقمتى ، لاتصال الجنس بالجنس ، والجوهر بالجوهر .

وأنا[6] كيف أؤاكل أقوامًا يصنعون هذا الصنيع ، ثم يحتجون له بمثل هذه الحجج ؟

ثم قال : إنكم تشيرون علىّ بملابسة شرار الخلق ، وأنذال الناس ، وبكل عياب متعتب ، ووثاب على أعراض الناس متسرع . وهؤلاء لم يرضوا أن يدعوهم الناس ، ولا يدعوا الناس ، وأن يأكلوا ولا يطعموا ، وأن يتحدثوا عن غيرهم ، ولا يبالون أن يتحدث عنهم ، وهم شرار الناس .

ثم قال : أجلس معاوية ـ وهو فى مرتبة الخلافة ، وفى السمح من عيش ، وفى نبل الهمة ، وإصابة الرأى ، وجودة البيان ، وكمال الجسم ، وفى تمام النفس[7] عند الجولة ، وعند تقصف الرماح ، وتقطع السيوف ـ رجلاً[8] على مائدته ، مجهول الدار ، غير معروف النسب ، ولا مذكور بيوم صالح ، فأبصر[9] فى لقمته شعرة فقال : خذ الشعرة من لقمتك ـ ولا وجه لهذا القول منه إلا محض النصيحة والشفقة ـ فقال الرجل : وإنك لتراعينى مراعاة من يبصر معها

---

(١) جعل الإنسان يبول دمًا .
(٢) البطن (مذكر) .
(٣) طالب أن يسقى لإزالة الغصة .
(٤) الآكلين .
(٥) فتحه .
(٦) المتكلم هو الحارثى .
(٧) شجاعتها .
(٨) مفعول أجلس .
(٩) معاوية .

الشعرة ؟ لأجلست لك على مائدة ما حييت . ولا حكيتها عنك ما بقيت فلم يدر الناس أى أمرى معاوية كان أحسن وأجمل : تغافله عنه ، أم شفقته عليه . فكان هذا جزاؤه منه وشكر له .

ثم قال : وكيف أطعم من أن رأيته يقصر فى الأكل فقلت له : كل ولا تقصر فى الأكل ، قام ولم يفطن لفضل ما بين التقصير وغيره ، وإن قصر فلم أنشطه ، ولم أحثه . قال : لولا أنه وافق هواه ! [1] .

ثم قال : ومد رجل من بنى تميم يده إلى صاحب الشراب يستسقيه ـ وعو على خوان المهلب ـ فلم يره الساقى ، ولم يفطن له ، ففعل ذلك مرارًا والمهلب يراه ، وقد أمسك عن الأكل ، إلى أن يسيغ لقمته بالشراب . فلما طال ذلك على المهلب ، قال : اسقه يا غلام ما أحب من الشراب . فلما سقاه ، استقله وطلب الزيادة منه ، وكان المهلب أوصاهم بالإقلال من الماء ، والإكثار من الخبز . قال التمامى : إنك لسريع إلى السقى ، سريع إلى الزيادة [2] ! وحبس يده عن الطعام . فقال المهلب : أله عن هذا [3] أيها الرجل ، فإن هذا لا ينفعك ولا يضرنا ، أردنا أمرًا ، وأردت خلافه .

وقد علمت أنى دون معاوية ، ودون المهلب بن أبى صفرة ، وأنهم [4] إلىَّ أسرع ، وفى لحمى أرتع .

ثم قال : وفى الجارود بن أبى سبرة لكم واعظ ، وفى أبى الحارث جمين زاجر : فقد كان يدعيان إلى الطعام وإلى الإكرام ، لظروفها وحلاوتها ، وحسن حديثهم وقصريومها [5] ! وكانا يتشهيان ، الغرائب ، ويقترحان الطرائف ، ويكلفان الناس المؤن الثقال ، ويمتحنان ما عندهم بالكلف الشداد [6] فكان جزاؤهم من احسانهم ما قد علمتم .

قال : ومن ذلك أن بلال بن أبى بردة ، كان رجلاً عيابًا ، وكان إلى أعراض الأشراف مسرعًا ، فقال للجارود : كيف طعام عبد الله بن أبى عثمان ؟ قال يعرف وينكر . قال : فكيف هو عليه ؟ قال : يلاحظ اللقم ، وينتهز السائل ! قال : فكيف طعام سلم بن قتيبة ؟ قال : طعام ثلاثة ، وإن كانوا أربعة جاعوا ! قال : فكيف طعام تسنيم بن الحوارى قال : نقط العروس [7] .

---

(١) جواب محذوف أى ما سكت .
(٢) قال ذلك أساء الظن بالمهلب ، إذ حسبه يريد أن يمنعه من الأكل بكثرة الشرب
(٣) دع سوء الظن .
(٤) أى أولئك الناس الذين لا يريدون أن يؤاكلهم .
(٥) اى أن الأنس بها يقصر الوقت .
(٦) ينزلان المحن بما عند الناس من أموال بسبب ذلك التكليف .
(٧) نقط تجعل على وجه العروس لتزيينها ، والمعنى أن الطعام قليل كهذه النقط .

قال : فكيف طعام المنجاب بن أبي عيينة ؟ قال : يقول : لا خير في ثلاث أصابع في صحفه[1] حتى أتى على عامة أهل البصرة[2] . وعلى كل من كان يؤثره بالدعوة وبالأنسة والخاصة[3] ، ويحكمه في ماله . فلم ينج منه إلا من كان يبعده . كما لم يبتل به إلا من كان يقربه .

وهذا أبو شعيب القلال في تقريب مويس له . وأنسه به . وفي إحسانه إليه مع رضائه[4] على المأكول ، وغض طرفه عن الأكيل ، وقلة مبالاته بالحفظ . وقلة احتفاله بجمع الكثير ، سئل عنه أبو شعيب فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعه ، ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمس . فضلاً عن غير ذلك . وكيف يجترىء الضرس على إفساد ذلك الحسن . ونقض ذلك النظم . وعلى تفريق ذلك التأليف وقد علم أن حسنه يحشم[5] ، وأن جماله يهيب منه . فلو كان سخيًا لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجنن[6] ، فحول إحسانه إساءة ، وبذله منعًا ، واستدعاءه إليه نهيًا[7] .

قال : ثم قيل لأبي الحارث جمين : كيف وجه محمد بن يحيى على غدائه ؟ قال : أما عيناه فعينا مجنون !

وقال فيه أيضًا : لو كان في كفه كر[8] خردل ، ثم لعب لعب الأبلى[9] بالأكرة ، لما سقطت من بين أصابعه حبة واحدة .

وقيل له أيضًا : فكيف سخاؤه على الخبز خاصة ؟ قال : والله لو ألقى إليه من الطعام بقدر ما إذا جلس فوق السحاب ما تجافى عن رغيف[10] .

وكان أبو نواس يرتعي على خوان إسماعيل بن نيبخت ، كما ترتعي الإبل في الحمض بعد طول الخلة[11] ، ثم كان جزأوه منه أنه قال :

خبز إسماعيل كالواشي إذا ما شق يرفا[12] .

---

(١) وعاء يؤكل فيه .
(٢) أي ما يتناول باللدم واحدًا بعد واحد حتى أتى على الجميع .
(٣) يفضله بأن يجعله من خاصته .
(٤) سخاء مويس .
(٥) أي : ومويس يعلم أن حسن تنسيق الطعام يحجل الآكيل .
(٦) جمع جنة وهي الساتر المانع .
(٧) أي حول دعوته الناس إلى الطعام نهيًا لهم عنه .
(٨) الكر : مكيال .
(٩) نسبة إلى الأبلة موضع بالبصرة كان لأهله شهرة في اللعب بالكرة .
(١٠) المراد من الطعام هنا القمح . يقول : لو اعطى من القمح عالية تصل إلى السحاب وتمنع نزف مائة ماسحًا برغيف .
(١١) الحمض ما كان فيه ملوحة من النبات ، وبعد طول خلة أي بعد طول رعي الخلة . يعني أن أبا نواس كان على ذلك الخوان كما تكون الإبل في الحمض بعد غيابها في الخلة طويلاً . إيغالاً في الأكل واندفاعًا إليه .
(١٢) الوشي : نوع من الثياب الموشية ، و (يرفا) يصلح . ووجه الشبه الحرص والمحافظة على كل . فكما يحافظ على الوشي بالرفا ، يحافظ أيضًا على الرغيف . وهذا البيت من قصيدة له ، نجدها في عيون الأخبار لابن قتيبة .

وقال :

وما خبزه إلا كليب بن وائل ... ليالى يحمى عزه منبت البقل[1]

وكان أبو الشمقمق يعيب فى طعام جعفر بن أبى زهير وكان له ضيفًا فى ضيافة جعفر وهو ومع ذلك يقول :

رأيت الخبز عز لديك حتى ... حسبت الخبز فى جو السحاب

وما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب[2]

وقيل للجماز : رأيناك فى دهليز فلان ، وبين يديك قصعة وأنت تأكل ، فمن أى شىء كانت القصعة ، وأى شىء كان فيها ؟ قال : قىء كلب فى قحف خنزير .

وقيل لرجل من العرب : قد نزلت بجميع القبائل ، فكيف رأيت خزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث !

ونزل عمرو بن معدى كرب برجل من بنى المغيرة وهم أكثر قريش طعامًا ـ فأتاه بما حضر ـ وقد كان فيما أتاه به فضل ـ فقال لعمر بن الخطاب ، وهم[3] أخواله : لئام بن المغيرة يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ؟ قال : نزلت بهم فما قرونى غير قوس[4] وكعب وثور . قال عمر إن ذلك لشعبة .

وكم رأينا من الأعراب « من » نزل برب صرمه[5] ، فأتاه بلبن وتمر وحيس[6] وخبز وسمن سلاء ، فبات ليلته ثم أصبح يهجوه : كيف لم ينحر له ـ وهو لا يعرفه ـ بعيرًا من ذوده ، أو صرمته . ولو نحر هذا البائس لكل كلب مر به بعيرًا من مخاوفة لسانه ، لما دار الاسبوع إلا وهو يتعرض للسابلة يتكفف الناس ويسألهم العلق[7] .

وسأل زياد عن رجل من أصحابه فقيل : إنه لملازم ، وما يغب غداء الأمير[8] . فقال زياد : فليغبه ، فإن ذلك مما يضر بالعيال ، فألزموه الغب ! فعابوه زيادًا بذلك ، وزعموا أنه استثقل حضوره فى كل يوم ، وأراد أن يزجر به غيره ، فيسقط عن نفسه ، وعن ماله مؤنة

---

(١) اعز من كليب بن وائل ، أى أن خبزه عزيز مثل كليب فى الليالى التى يحمى فيها أرضه التى تنبت البقل .

(٢) هذه الأبيات لمروان بن محمد أبو محمد ، الشاعر المعروف بأبى الشمقمق . قدم بغداد فى أيام الرشيد ومعنى الأبيات ما جلبت لنا الهواء بالمروحة لتذب عنا الذباب . ولكن لمنع الذباب أن يصيب شيئًا من الطعام .

(٣) يعنى بنى المغيرة .

(٤) بقية من تمر .

(٥) صاحب إبل .

(٦) تمر يعجن بالسمن واللبن المخيض .

(٧) القليل من الطعام .

(٨) ما ينقطع عنه .

عظيمة . وإنما كان ذلك من زياد على جهة النظر للعيالات . وكما ينظر الراعى للرعية وعلى مذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقد قال الحسن : تشبه زياد بعمر فأفرط . وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس . فجعلتم ذلك عنتًا منه[1] .

* الثريد سيد الطعام :

وقال يوسف بن عمر لقوام موائده : اعظموا الثريدة فإنها لقمة الدرداء[2] . فقد يحضر طعامكم الشيخ الذى قد ذهب فمه ، والصبى الذى لم ينبت فمه ، وأطعموه ما تعرفون[3] . فإنه أنجع وأشفى للقرم[4] . فقلتم : إنما أراد العجلة والراحة بسرعة الفراغ ، وأن يكيدهم بالثريد ، ويملأ صدورهم بالعراق ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **سيد الطعام الثريد ، ومثل عائشة فى النساء مثل الثريد فى الطعام** » . ولعظم صنعة الثريد فى عين قريش ، سمو عمرو بن عبد مناف بهاشم ، حين هشم الخبز ، واتخذ منه الثريد ، حتى غلب عليه الأسم المشتق من ذلك .

وقال عوف بن القعقاع لمولاه[5] : اتخذ لنا طعامًا يشبع فضله أهل الموسم . قلتم[6] : فلما رأى الخبز الرقاق والغلاظ والسواء والألوان . واستطراف الناس للون بعد اللون ، ودوام أكلهم لدوام الطرف ، وأن ذلك لو كان لونًا واحدًا لكان أقل لأكلهم . قال : فهلاً فعلته طعام يد ، ولم تجعله طعام يدين ، فقلتم : اتسع[7] ثم ضاق ، حين أراد إطعامهم الثريد والحبس وكل ما يؤكل بيد دون يدين .

والقعقاع عربى كره لمولاه أن يرغب من طعام العرب إلى طعام العجم . وأراد دوام قومه على مثل ما كانوا عليه ، وعلى أن الثروة تفختهم[8] وتفسدهم . وأن الذى فتح عليهم من باب الترفه أشد عليهم مما أغلق عليهم من باب فضول اللذة . وقد فعل عمر من جهة التأديب أكثر من ذلك حين دعى إلى عرس ، فرأى قدرًا صفراء ، وأخرى حمراء ، وواحدة مرة وأخرى حلوة وواحدة محمضة ، فكازها[9] كلها فى قدر عظيمة ، وقال : إن العرب إذا أكلت هذا قتل بعضها بعضًا !.

---

(١) أى خطأ من زياد .
(٢) من سقطت أسنانه ، والمراد أنها لينة .
(٣) من لحم على العظم .
(٤) شدة الرغبة فى اللحم .
(٥) المراد هنا من يقوم بخدمته .
(٦) أى قال امثالكم من العيابين .
(٧) عوف بن القعقاع .
(٨) تنفخهم .
(٩) جمعها

* تفسير كلام أبى فاتك :

أما قوله : الفتى لا يكون نشالاً ، « فالنشال » عنده : الذى يتناول من القدر ، ويأكل قبل النضج ، وقبل أن تنزل القدر ، ويتتام[1] القوم .

« والنشاف » : الذى يأخذ حرف الجرذقة[2] ، فيفتحه ، ثم يغمسه فى رأس القدر ، وَيُشرِبُه الدسم ، يستأثر بذلك دون أصحابه .

« والمرسال » : رجلان : أحدهما إذا وضع فى فمه لقمة هريسة ، أو ثريدة ، أو حيسة ، أو أرزة أرسلها فى جوف حلقة إرسالاً . والوجه الآخر : هو الذى إذا مشى فى أشب من فسيل[3] . أو شجر ، قبض على رأس السعفة ، أو على رأس الغصن ، لينحتها عن وجهه ، فإذا قضى وطره ، أرسلها من يده . فهى لا محالة تصك وجه صاحبه الذى يتلوه ، لا يحفل بذلك ، ولا يعرف ما فيه .

وأما « اللكام » : فالذى فى فيه اللقمة ، ثم يلكمها بأخرى قبل إجادة مضغها أو ابتلاعها .

« والمصاص » : الذى يمص جوف قصبة العظم ، بعد أن استخرج مخه ، واستأثر به دون أصحابه .

وأما « النفاض » : فالذى إذا فرغ من غسل يده فى الطشت نفض يدية على الماء ، فنضج على أصحابه .

وأما « الدلاك » : فالذى لا يجيد تنقية يديه بالأشنان[4] ، ويجيد دلكها بالمنديل ، وله أيضًا تفسير آخر ، وليس هو الذى تظنه ، وهو مليح ، وسيقع فى موضعه أن شاء الله .

« والمقور » : الذى يقور الجرذاق ويستأثر بالأوساط ويدع لأصحابه الحروف .

« والمغربل » : الذى يأخذ وعاء الملح ، فيديره إدارة الغربال ، ليجمع أبازيره[5] ، يستأثر به دون أصحابه ، لا يبالى أن يدع ملحهم بلا أبزار .

« والمحلقم » : الذى يتكلم واللقمة قد بلغت حلقومه نقول لهذا : قبيح ! دع الكلام إلى وقت إمكانه !

---

(١) يتم عددهم .
(٢) الرغيف .
(٣) الفسيل : صغار النحل ، والأشب : الملتف .
(٤) منظف كالصابون .
(٥) توابله .

« والمسوغ » : الذى يعظم اللقم فلا يزال فى غص ولا يزال يسيغه بالماء .

« والمبلغ » : الذى أخذ حروف الرغيف[1] ، أو يغمر ظهر التمرة[2] بابهامه ليحملا له من الزبد والسمن ، ومن اللباء[3] واللبن ، ومن البيض النيمبرشت[4] أكثر .

« والمخضر » : الذى يدلك يده بالأشنان من الغمر والودك[5] حتى إذا أخضر وأسود من الدرن ، ذلك به شفته .

هذا تفسير ما ذكر الحارثى من كلام أبى فاتك .

فأما ما ذكره هو :

فإن « اللطاع » معروف ، وهو الذى يلطع[6] إصبعه ! ثم يعيدها فى مرق القوم أو لبنهم أو سويقهم[7] وما أشبه ذلك .

« والقطاع » : الذى يعض على اللقمة ، فيقطع نصفها ، ثم يغمس النصف الآخر فى الصباغ[8]

« والمداد » : الذى ربما عض على العصبة التى لم تنضج وهو يمدها بفيه ، ويده توترها[9] له ، فربما قطعها بنترة[10] . فيكون انتضاح[11] على ثوب المؤاكل ، أو هو : الذى إذا أكل مع أصحابه الرطب أو التمر أو الهريسة ، والأزة فأتى على ما بين يديه ، مد ما بين أيديهم إليه .

« والدفاع » : الذى إذا وقع فى القصعة عظم ، فصار مما يليه ، نجاة بلقمة من الخبز ، حتى تصير مكانه قطعة من لحم . وهو فى ذلك كأنه يطلب بلقمته تشريب المرق ، دون إراغة اللحم[12] .

« والمحول » : هو الذى إذا رأى كثرة النوى بين يديه ، احتال له حتى يخلطه بنوى صاحبه .

* * *

(١) لأنها أصلح للغرف .
(٢) ليوسعها .
(٣) أول ما تدره البهيمة من اللبن عقب الولادة .
(٤) البرشت ، وهو ما لم يتم نضجه .
(٥) ريح اللحم ودسمه .
(٦) يلحسها .
(٧) السويق يصنع من القمح والشعير .
(٨) الأدام (الغموز) .
(٩) تشدها .
(١٠) بجذبة .
(١١) رشاش .
(١٢) طلبه .

وأما « ما » ذكره عن (الضيف) و (الضيفن) ، فإن الضيفن : ضيف الضيف ، وأنشد أبو زيد :

إذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن

فأودى بما يقرى الضيوف الضيافن[1]

وأما قوله : « الواغل أهون عليّ من الراشن » . فإنه يزعم أن طفيلى الشراب ، أهون عليه من طفيلى الطعام .

وقول الناس : فلان طفيلى ، ليس من أصول كلام العرب ، ليس كالراشن واللعموظ[2] وأهل مكة يسمونه البرقى .

وكان بالكوفة رجل من بنى عبد الله بن غطفان ، يسمى « طفيل » كان أبعد الناس نجعة[3] فى طلب الولائم والأعراس ، فقيل له لذلك « طفيل العرائس » ، وصار ذلك نبزًا[4] له ، ولقبًا لا يعرف بغيره ، فصار كل من كانت تلك طعمته[5] يقال له طفيلى . هذا من قول أبى اليقظان .

ثم قال الحارثى :-

وأعجب من عجيب ، وأطرف من كل طريف ، أنكم تشيرون علىّ بإطعام الأكلة ، ودفعى إلى الناس مالى ، وأنتم أترك لهذا منى ، فإن زعمتم أنى أكثر مالاً ، وأعدُّ عُدة ، فليس بين حالى وحالكم فى التفاوت ، أن أطعم أبدًا ، وأنتم تأكلون أبدًا ، فإذا أتيتم فى أموالكم من البذل والإطعام على قدر احتمالكم ، عرفت بذلك أن الخير أردتم ، وإلى تربيتى[6] ذهبتم ، وإلَّا فإنكم إنما تحلبون حلبًا لكم شطره ، بل أنتم كما قال الشاعر :

يحب الخمر من مال الندامى

ويكره أن يفارقه الفلوس

ثم قال :

والله إنى لو لم أترك مؤاكلة الناس وإطعامهم « إلا » لسوء رعة على الأسوارى[7] لتركته ،

---

(١) البيت لأبى زيد الأنصارى عالم النحو واللغة والغريب الشهير (ت ١٢٥ هـ) ـ أى تأتى الضيافن على ما يقدم لقرى الضيوف .

(٢) أى أن هذين اللفظين هما الاسمان العربيان للطفيلى .

(٣) ارتحالاً .

(٤) لقب ذم له .

(٥) سيرته فى الأكل .

(٦) أصلاحى وفائدتى .

(٧) لسوء أدبه وشرهه على الموائد .

وما ظنكم برجل نهش بضعة [1] لحم تعرقا [2] ، فبلع ضرسه وهو لا يعلم . فعل ذلك عند إبراهيم بن الخطاب ، مولى سليمان . وكان إذا أكل ذهب عقله ، وجحظت عينه ، وسكر وسدر [3] وانبهر ، وتربد وجهه ، وغصب [4] ولم يسمع ، ولم يبصر . فلما رأيت ما يعتريه ، وما يعترى الطعام منه ، صرت لا آذن له إلا ونحن نأكل التمر والجوز والباقلى [5] ، ولم يفجئنى قط وأنا آكل تمرًا إلا استفه سفًا ، وحساه حسوًا [6] ، وذرا به ذروًا [7] ولا وجده كثيرًا ، إلا تناول القصعة كجمجمة الثور ، ثم يأخذ بحضنيها [8] ويقلها من الأرض . ثم لا يزال ينهشها طولاً وعرضًا ، ورفعًا وخفضًا ، حتى يأتى عليها جميعًا . ثم لا يقع غضبه [9] إلا على الأنصاف والأثلاث [10] . ولم يفصل تمرة قط من تمرة . وكان صاحب جمل ، ولم يكن يرضى بالتفاريق [11] . ولا رمى بنواة قط ، ولا نزع قمعًا ولا نقى عنه قشرًا ، ولا فتشه مخافة السوس والدود . ثم ما رأيته قط إلا وكأنه طالب ثأر وشحشحان [12] صاحب طائلة [13] . وكأنه عاشق مغتلم ، أو جائع مقرور [14] .

والله يا أخوتى ، لو رأيت رجلاً يفسد طين الردعة [15] ، ويضيع ماء البحر ، لصرفت عنه وجهى . فإذا كان أصحاب النظر ، وأهل الديانة والفلسفة ، هذه سيرتهم ، وهكذا أدبهم ، فما ظنكم بمن لا يعد ما يعدون ، ولا يبلغ من الأدب حيث يبلغون .

* الكندى :

حدثنى عمرو بن نهيوى قال :

كان الكندى لا يزال يقول للساكن ، وربما قال للجار : إن فى الدار امرأة بها حمل ، والوحمى ربما أسقطت من ريح القدر الطيبة ، فإذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة أو لعقة ، فإن النفس يردها اليسير ، فإن لم تفعل ذلك بعد إعلامى إياك ، فكفارتك ـ إن أسقطت ـ غرة : عبد [1] أو أمة ، ألزمت ذلك نفسك أم أبيت .

قال : فكان ربما يوافى إلى منزله من قصاع السكان والجيران ، ما يكفيه الأيام ، وكان

---

(١) قطعة .
(٢) استئصالاً للحم من فوق العظم .
(٣) تحير واضطراب .
(٤) جف ريقه من شدة الجهد .
(٥) القبول أى لرخص هذه الأشياء .
(٦) فإنه يشربه .
(٧) أطاره عن المائدة .
(٨) تجانبها .
(٩) أعراضه .
(١٠) فيتركها . والأثلاث الثمرات الثالثة .
(١١) أى يأكل بالجملة لا بالقطاعى .
(١٢) شجاع .
(١٣) ثأر .
(١٤) من القر وهو البرد . وهذا يثير الجوع .
(١٥) الطين . ومعناه وما بعده أى افساد ما لا قيمة له .
(١٦) المراد هنا : عبد أبيض أو أمة بيضاء .

أكثرهم يفطن ويتغافل .

وكان الكندى يقول لعياله : أنتم أحسن حالاً من أرباب هذه الضياع ، إنما لكل بيت منهم لون واحد ، وعندكم ألوان .

قال : وكنت أتغدى عنده يومًا ، إذ دخل عليه جار له ، وكان الجار لى صديقًا ، فلم يعرض عليه الغداء ، فاستحيت أنا منه فقلت لو أصبت معنا مما نأكل ؟ قال : قد ـ والله ـ فعلت ! قال الكندى : ما بعد الله شىء ! قال : فكتفه والله ـ يا أبا عثمان ـ كتفًا ، لا يستطيع معه قبضًا ولا بسطًا ، وتركه ولو أكل لشهد عليه بالكفر ، ولكان عنده قد جعل مع الله شيئًا .

قال عمرو : بينا أنا ذات يوم عنده إذ سمع صوت انقلاب جرة من الدار الأخرى ؟ فصاح : أى قصاف[1] ! فقالت ، مجيبة له : بئر[2] وحياتك ! فكانت الجارية فى الذكاء أكثر منه فى الأستقصاء .

قال معبد : نزلنا دار الكندى أكثر من سنة ، نروج له الكراء[3] . ونقضى به الحوائج ، ونفى له بالشرط . قلت : قد فهمت ترويج الكراء . وقضاء الحوائج ، فما معنى الوفاء بالشرط ؟ قال : فى شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة ، وبعر الشاة ، ونشوار العلوفة[4] وأن لا يخرجوا عظمًا ، ولا يخرجوا كساحة[5] وأن يكون له نوى التمر ، وقشور الرمان ، والغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى فى بيته !

وكان فى ذلك يتنزل عليهم[6] ، فكانوا لطيبه[7] ، وإفراط بخله ، وحسن حديثه ، يحتملون ذلك .

قال معبد : فبينا أنا كذلك ، إذ قدم ابن عم لى ، ومعه ابن له ، وإذا رقعة منه قد جاءتنى « وفيها » : « إن كان مقام هذين القادمين ليلة أو ليلتين ، احتملنا ذلك وإن كان إطماع السكان فى الليلة الواحدة ، يجر علينا الطمع فى الليالى الكثيرة » .

فكتب إليه : « ليس مقامها عندنا إلا شهرًا أو نحوه » .

فكتب إلىَّ : « إن دارك بثلاثين درهمًا ، وأنتم ستة ، لكل رأس خمسة ، فاذ قد زدت رجلين فلابد من زيادة خمسين ، فالدار عليك من يومك هذا بأربعين » . فكتبت إليه :

(١) اسم جارية ، و (أى) حرف نداء .
(٢) أى صوت الماء فى البئر .
(٣) أى يمدح داره لكى تروج فى الكراء .
(٤) ما يتبقى من علف الدابة .
(٥) كناسة : والمراد أن هذه الأشياء لا ترمى لينتفع بها .
(٦) أى يفرض عليهم هذه الأشياء بالتدرج لا مرة واحدة .
(٧) لطيب نفسه .

« وما يضرك من مقامها ، وثقل أبدانها على الأرض التى تحمل الجبال ، وثقل مؤنتها على دونك ؟ فاكتب إلى بعذرك لاعرفه » . ولم أدر أنى أهجم على ما هجمت ، وأنى أقع منه فيما وقعت !

فكتب إلىّ :

الخصال التى تدعو إلى ذلك كثيرة ، وهى قائمة معروفة . من ذلك ، سرعة إمتلاء البالوعه وما فى تنقيتها من شدة المؤنة . ومن ذلك أن الأقدام إذا كثرت ، كثر المشى على ظهور السطوح الطينة ، وعلى أرض البيوت المجصصة ، والصعود على الدرج الكثيرة فينقشر لذلك الطين ، وينقلع الجص[1] ، وينكسر العتب ، مع انثناء الاجذاع[2] لكثرة الوطء ، وتكسرها لفرط الثقل .

وإذا كثر الدخول والخروج ، والفتح والإغلاق والإقفال ، وجذب الأقفال ، تهشمت الأبواب ، وتقلعت الرزات .

وإذا كثر الصبيان ، وتضاعف البوش[3] ، نزعت مسامير الأبواب ، وقلعت كل ضبة ، ونزعت كل رزة ، وكسرت كل جوزة[4] ، وحفر فيها آبار الددن[5] ، وهشموا بلاطها بالمداجى[6] . وهذا مع تخريب الحيطان بالأوتاد ، وخشب الرفوف .

وإذا كثر العيال والزوار ، والضيفان والندماء ، احتيج من صب الماء ، واتخاذ الحبية[7] القاطرة[8] ، والجزار الراشحة ، إلى أضعاف ما كانوا عليه . فكم من حائط قد تآكل أسفله . وتناثر أعلاه ، واسترخى أساسه . وتداعى بنيانه ، من قطر حب ، ورشح جرة ، ومن فضل ماء البئر ، ومن سوء التدبير .

وعلى قدر كثرتهم يحتاجون من الخبيز ، والطبيخ ومن الوقود ، والتسخين . والنار لا تبقى ولا تذر . وإنما الدور حطب لها ، وكل شىء فيها من متاع فهو أكل لها ، فكم من حريق قد أتى على أصل الغلة ، فكلفتم أهلها أغلظ النفقة . وربما كان ذلك عند غاية العسرة وشدة الحال ، وربما تعدت تلك الجناية[9] إلى دور الجيران ، وإلى مجاورة الأبدان والأموال .

---

(١) الجير .
(٢) جمع جذع والمراد هنا جذوع السقف .
(٣) الجماعة .
(٤) شجر الجوز .
(٥) اللعب والمراد الحُفر التى يحفرها الصبيان ليرموا فيها الكر ونحوها .
(٦) جمع مدحاه وهى لعبة خشبية يجرها الصبى على الأرض .
(٧) جمع حب وهو الجرة .
(٨) التى تقطر الماء .
(٩) المقصود بها الحريق

فلو ترك الناس حينئذ رب الدار ، وقدر بليته ، ومقدار مصيبته لكان عسى ذلك أن يكون محتملاً[1] ، ولكنهم يتشاءمون به ، ولا يزالون يستثقلون ذكره ، ويكثرون من لائمته وتعنيفه .

نعم ! ثم يتخذون المطابخ فى العلالى[2] على ظهور السطوح ، وإن كان فى أرض الدار فضل ، وفى صحنها متسع ، مع ما فى ذلك من الخطار بالأنفس ، والتغرير بالأموال ، وتعرض الحرم ليلة الحريق لأهل الفساد ، وهجومهم مع ذلك على سر مكتوم ، وخبىء مستور ، من ضيف مستخف[3] ، ورب دار متوار ، ومن شراب مكروه ، ومن كتاب متهم[4] ، ومن حال جم أريد دفنه ، فأعجل الحريق أهله عن ذلك فيه ، ومن حالات كثيرة ، وأمور لا يحب الناس أن يعرفوا بها .

ثم لا ينصبون التنانير[5] ، ولا يمكنون للقدور . إلا على متن السطح ، حيث ليس بينها وبين القصب والخشب إلا الطين الرقيق ، والشىء لا يقى ، هذا مع خفة المؤنة فى إحكامها[6] وأمن القلوب من المتالف بسببها . فإن كنتم تقدمون على ذلك منا ومنكم[7] . وأنتم ذاكرون ، فهذا عجب ! وإن كنتم لم تحلفوا بما عليكم فى أموالنا ، ونسيتم ما عليكم فى أموالكم ، فهذا أعجب .

ثم إن كثيرًا منكم يدافع بالكراء[8] ، ويماطل بالأداء ، حتى إذا جمعت أشهر عليه ، فر وخلى أربابها جياعًا ، يتندمون على ما كان من حسن تقاضيهم[9] وإحسانهم ، فكان جزاؤهم وشكرهم اقتطاع حقوقهم ، والذهاب بأقواتهم .

ويسكنها الساكن حين يسكنها ، وقد كسحناها[10] وتظفناها ، لتحسن فى عين المستأجر ، وليرغب فيها الناظر ، فإذا خرج ترك فيها مزبلة وخرابًا ، لا تصلحه إلا النفقة الموجعة ! ثم لا يدع مترسًا[11] إلّا سرقه ، ولا سلمًا إلا حمله ، ولا نقضًا[12] إلّا أخذه ، ولا برادة[13] إلا مضى بها معه . ولا يدع دق الثوب ، والدق فى الهاون والمنجاز[14] فى أرض الدار ، ويدق على الأجزاع والحواضن[15] والرواشن[16] ، وإن كانت الدار مقرمدة[17] أو بالأجر[18] مفروشة ، وكان صاحبها

---

(١) أى لكان الحال يمكن أن يكون محتملاً .
(٢) جمع علية وهى الحجرة العالية .
(٣) خوف من حاكم أو نحو ذلك .
(٤) شكوك فيه يخشى أن يكشف أمره .
(٥) المخابز .
(٦) أحكام التنايز والقدور .
(٧) أى الإفساد الذى ينال منا ومنكم .
(٨) يماطل فيه .
(٩) مطالبتهم بما عليهم .
(١٠) كنسنا ها وقد يراد به تنظيف البئر أو المرحاض .
(١١) خشبة تشبه (الترباس) .
(١٢) واحد الانقاض : مخلفات الهدم .
(١٣) إناء يبرد الماء .
(١٤) آلة يدق بها الثوب .
(١٥) الأعمدة التى تحمل السقف .
(١٦) الرفوف أو النوافذ .
(١٧) القرمد : طلاء . يريد أطليت بالقرمد .
(١٨) الطوب الأحمر .

جعل فى ناحية منها صخرة . ليكون الدق عليها ولتكون واقية دونها . دعاهم التهاون والقسوة والغش والفسولة[1] إلى أن يدقوا حيث جلسوا . وإلى ألا يحفلوا بما أفسدوا . ولم يعط قط لذلك أرشًا[2] . ولا استحل صاحب الدار[3] ، ولا استغفر الله منه فى السر . ثم يستكثر من نفسه فى السنة إخراج عشرة دراهم . ولا يستكثر من رب الدار ألف دينار فى الشراء . إيذكر ما يصير إلينا مع قلته . ولا يذكر ما يصير إليه مع كثرته . هذا والأيام التى تنقض المبرم . وتبلى الجدة ، وتفرق الجمع المجتمع . عاملة فى الدور . كما نعمل فى الصخور . وتأخذ فى المنازل . كما تأخذ من كل رطب ويابس . وكما تجعل الرطب يابسًا . واليابس هشيمًا . والهشيم مضمحلاً[4] .

ولا نهدام المنازل غاية قريبة ، ومدة قصيرة . والساكن فيها هو كان المتمتع بها ، والمنتفع بمرافقها ، وهو الذى أبلى جدتها و « أذهب » بجلاها ، وبه هرمت وذهب عمرها لسوء تدبيره . فإذا قسنا الغرم عند انهدامها باعادتها بعد ابتلائها ، وغرم ما بين ذلك من مرمتها وإصلاحها ، ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها وارتفقنا[5] به من إكرائها ، خرج على المسكن من الخسران ، بقدر ما حصل للساكن من الربح . إلا أن الدراهم التى أخرجناها من النفقة كانت جملة ، والتى أخذناها على جهة الغلة جاءت مقطعة . وهذا مع سوء القضاء[6] ، والاحواج إلى طول الاقتضاء ، ومع بغض الساكن للمسكن ، وحب المسكن للساكن ، لأن المسكن يحب صحة بدن الساكن ، ونفاق سوقه إن كان تاجرًا . وتحرك صناعته إن كان صانعًا . ومحبة الساكن أن يشغل الله عنه المسكن كيف شاء : إن شاء شغله بعينه[7] ، وإن شاء بزمانه[8] ، وإن شاء بحبس ، وإن شاء بموت . ومدار مناه أن يشغل عنه ، ثم لا يبالى كيف كان ذلك الشغل . إلا أنه كلما كان أشد ، كان أحب إليه . وكان أجدر أن يأمن ، وأخلق لأن يسكن[9] . وعلى أنه إن فترت سوقه ، أو كسدت صناعته ، ألح فى طلب التخفيف من أصل الغلة ، والحطيطة مما حصل عليه من الأجرة[10] وعلى أنه إن أتاه الله بالأرباح فى تجارته . والنفاق فى صناعته ، لم ير أن يزيد قيراطًا فى ضريبته[11] ولا أن يعجل فلسًا قبل وقته . ثم إن كانت الغلة صحاحًا ، دفع أكثرها مقطعة ، وإن كانت أنصافًا وأرباعًا . دفعها قراضة[12] مفتتة . ثم لا يدع مزأبقا[13]

---

(١) الذالة .
(٢) تعويضًا .
(٣) المراد لم يعتذر عن التخريب .
(٤) ذاهبًا فانيًا .
(٥) انتفعنا .
(٦) اداء الساكن .
(٧) بذاته كان يصيبه مرض .
(٨) بأحوال زمانه ومصائبه .
(٩) يطمئن .
(١٠) تخفيض ما استحق عليه .
(١١) المراد أجرة المسكن .
(١٢) القراصنة ما يسقط من المعدن فى أثناء قرصنه وتقطيعه . يعنى عملات صغيرة .
(١٣) مطليًا بالزئبق للتزييف . والمراد بالأوصاف التالية التزييف أيضًا .

ولا مكحلاً ، ولا زائفًا ، ولا دينارًا بهرجًا ، إلا دسه فيه ، ودليه عليه ، واحتال بكل حيلة ، وتأتى له بكل سبب . فإن ردوا عليه بعد ذلك شيئًا : حلف بالغموس[1] أنه ليس من دراهمه ، ولا من ماله ، ولا رآه قط ، ولا كان فى ملكه ، فإن كان الرسول جارية رب الدار أفسدها ، وربما أحبلها ، وإم كان غلامًا خدعه ، وربما شطر به[2] . هذا مع الإشراف على الجيران[3] والتعرض للجارات ، ومع اصطياد طيورهم ، وتعريضنا لشكايتهم . وربما استضعف عقولهم ، وطمع فى فسادهم وعيبهم . فلا يزال يضرب لهم بالاسلاف[4] ، ويغريهم بالشهوات ، ويفتح لهم أبوابًا من النفقات ، ليعييهم[5] ، ويربح عليهم ، حتى إذا استوثق[6] منهم أعجلهم[7] ، وحزق[8] بهم ، حتى يتقوه ببيع بعض الدار ، أو استرهان الجميع ، ليربح ـ مع الذهاب بالأصل ـ السلامة ، مع طول مقامه ، من الكراء . وربما جعله بيعًا فى الظاهر ورهنًا فى الباطن . فحينئذ يقتضيهم دون المهلة ، ويدعيها قبل الوقت . وربما بلغ من استضعانه واستثقاله لاداء الكراء ، أن يدعى أن له شيقصًا[9] وأن له يدًا ، ليصير خصمًا من الخصوم ، ومنازعًا غير غاصب . وربما أخذهم ومعه أمرأة يفجر بها ، فيجعل استيجار البيوت وتصفح المنازل ، علة لدخولها ، والمقام ساعة فيها . فإذا استقر فى المنزل ، قضى حاجته منها ، ورد المفتاح . وربما اكترى المنزل وفيه مرمة ، فاشترى بعض ما يصلحها ، ثم يتوخى عاملاً فى جيد الكسوة ، وحيرانًا أصحاب آنية وآلة ، فإذا شغل العامل وغفل ، اشتمل على كل ما قدر عليه[10] ، وتركهم يتسكعون . وربما استأجر إلى جنب سجن لينقب أهله إليه[11] ، وإلى جنب صراف لينقب عليه[12] ، طلبًا لطول المهلة والستر ، ولطول المدة والأمن[13] . وربما جنى الساكن ما يدعو إلى هدم دار المسكن ، بأن يقتل قتيلاً ، أو يجرح شريفًا ، فيأتى السلطان الدار ـ وأربابها إما غيب ، وإما أيتام وإما ضعفاء ـ فلا يصنع شيئًا دون أن يستويها بالأرض .

وبعد فالدور ملقاة[14] ، وأربابها منكوبون وملقون ، وهم أشد الناس اغترارًا بالناس ، وأبعدهم غاية فى سلامة الصدور . وذلك أن من دفع داره ونقضها[15] ، وساجها[16] ، وأبوابها .

---

(١) اليمين الغموس : الكاذبة ، المتعمد كذبها .
(٢) المراد : أخذه غلامًا له أو أفسده على صاحبه .
(٣) الأطلال عليهم .
(٤) يغريهم بقرض المال .
(٥) ليعجزهم .
(٦) تمكن .
(٧) طالبهم بالدفع العاجل .
(٨) شدد عليهم .
(٩) يعنى نصيبًا فى الدار التى يسكنها .
(١٠) أخذه .
(١١) يتخذ ذلك وسيلة لفرار المسجونين .
(١٢) ويسلبه .
(١٣) أى يستأجر بجوار الطراف والسجن ليقوم بذلك العمل فى مهلة وستر .
(١٤) معرضة للقاء المكروه .
(١٥) المراد ما يتكون منه البناء .
(١٦) خشب هندى .

مع حديدها وذهب سقوفها ، إلى مجهول لا يعرف ، فقد وضعها فى مواضع الغرر[1] ، وعلى أعظم الخطر . وقد صار فى معنى المودع ، وصار المكترى فى موضع المودع[2] . ثم ليست الخيانة ، وسوء الولاية إلى شىء من الودائع ، أسرع منها إلى الدور . وأيضًا إن أصلح السكان حالاً من إذا وجد فى الدار مرمة فوضعوا إليه النفقة ، وأن يكون ذلك محسوبًا له عند الأهله[3] الذى يشفف فى البناء ، ويزيد فى الحساب ، فما ظنك بقوم هؤلاء أصلحهم ، وهم خيارهم ؟ وأنتم أيضًا ، إنما اكتريتم مستغلات غيركم ، بأكثر مما اكتريتموها منه ، فسيروا فينا كسيرتكم فيهم وأعطونا من أنفسكم مثل ما تريدونه منهم . وربما بنيتم فى الأرض ، فإذا صار البناء بنيانكم ـ وإن كانت الأرض لغيركم ـ ادعيتم الشركة ، وجعلتموه كالإجارة ، وحتى تصيروه كتلاد[4] مال ، أو موروث سلف[5] .

وجرم آخر : أنكم أهلكتم أصول أموالنا ، وأخربتم غلاتنا[6] ، وحططتم بسوء معاملتكم أثمان دورنا ومستغلاتنا ، حتى سقطت غلات الدور من أعين المياسير وأهل الثروة ، ومن أعين العوام والحشوة[7] ، وحتى يدافعوكم[8] بكل حيلة ، وصرفوا أموالهم فى كل وجه ، وحتى قال عبيد الله بن الحسن قولاً أرسله مثلاً ، وعاد علينا حجة وضررًا . وذلك أنه قال .

« غلة الدار مسكة »[9] ، وغلة النخل كفاف ، وإنما الغلة غلة الزرع والنسولتين[10] ، وإنما جر ذلك علينا لحسن اقتضائنا[11] ، وصبرنا على سوء قضائكم[12] ، وأنتم تقطوعنها[13] علينا ، وهى عليكم مجملة ، وتلوونا[14] ، بها وهى عليكم حالة . فصارت لذلك غلات الدور ـ وإن كانت أكثر ثمنًا ودخلاً ـ أقل ثمنًا ، وأخبث أصلاً من سائر الغلات .

وأنتم شر علينا من الهند والروم ، ومن الترك والديلم ، إذ كنتم أحضر أذى ، وأدوم شرًا : ثم كانت هذه صفتكم وحيلتكم[15] ومعاملتكم ، فى شىء لابد لكم منه ، فكيف كنتم لو امتحنتم بمالكم عنه مندوحة ، والوجوه لكم فيه معرضة[16] ، وأنتم فيها بالخيار . وليس عليكم طريق

---

(١) الخطر .
(٢) أوائل الشهور العربية .
(٣) ينقص .
(٤) قديم .
(٥) عن الآباء والجدود .
(٦) يريد الدور باعتبار أنها أصل الغلة .
(٧) رذال الناس .
(٨) يمنعوكم من الاضرار بأملاكهم .
(٩) ما يمسك الرمق .
(١٠) النسولة : التى تقتنى للنسل . والنسولتان : الإبل والغنم .
(١١) مطالبتنا لكم .
(١٢) أدائكم .
(١٣) أى غلة الدار .
(١٤) تماطلون .
(١٥) صفتكم .
(١٦) ظاهرة .

الإضرار؟ وهذا مع قولكم : إن نزول دور الكراء[1] أصوب من نزول دور الشراء ، وقلتم : لأن صاحب الشراء قد أغلق رهنه[2] ، وأشرط نفسه[3] ، وصار بها[4] ممتحنًا ، وبثمنها مرتهنًا ، ومن اتخذ دارًا فقد أقام كفيلاً لا يخفر[5] ، وزعيمًا لا يغرم[6] . وإن غاب عنها ، حن إليها ، وأنكر مكانه[7] ، وبعد مصلاه[8] ، ونأت عنه سوقه ، وتفاوتت حوائجه ، ورأى أنه قد أخطأ فى اختيارها على سواها ، وأنه لم يوفق لرشده حين آثرها على غيرها ، وإن من كان كذلك ، فهو عبد داره ، وخول[9] جاره . وإن صاحب الكراء الخيار فى يده ، والأمر إليه ، فكل دار هى له متنزه إن شاء ، ومتجر إن شاء ، ومسكن إن شاء . لم يحتمل فيها اليسير من الذل ، ولا القليل من الضيم ، ولا يعرف الهوان ، ولا يسأم الخسف ، ولا يحترس من الحساد ، ولا يدارى المتعللين[10]. وصاحب الشراء يجرع المرار ، ويسق بكأس الغيظ ، ويكد بطلب الحوائج ، ويحتمل الذلة وإن كان ذا أنفة ، إن عفا ، عفا على كظم ، ولا يوجه ذلك عنه إلا إلى العجز[11]، وإن رام المكافأة[12]، تعرض لأكثر مما أنكره . قال رسول الله ﷺ : « **الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق** » .

وزعمتم أن تسقط الكراء[13] أهون إذ كان شيئًا بعد شىء . وأن الشدائد إذا وقعت جملة غامرة للقوة[14] ، فأما إذا تقطع وتفرق ، فليس يكترث لها إلا من تفقدها ، وتذكرها[15]، ومال الشراء يخرج جملة ، وثلمته[16] فى المال واسعة ، وطعنته نافذة . وليس كل خرق يرقع ، ولا كل خارج يرجع ، وأنه قد أمن الحرق والغرق ، وميل أسطوان[17]، وانقصاف سهم واسترخاء أساس ، وسقوط سترة[18] وسوء جدار ، وحسد مشاكل[19]، وأنه إما لا يزال فى بلاء ، وإما أن يكون متوقعًا لبلاء .

وقلتم : إن كان تاجرًا ، فتصريف ثمن الدار فى وجوه التجارات أربح ، وتحويله فى أصناف البياعات أكيس ، وإن لم يكن تاجرًا ، ففى ما وصفناه له ناه ، وفيما عددنا له زاجر . فلم تمنعكم حرمة المساكنة ، وحق المجاورة ، والحاجة إلى السكنى وموافقة المنزل ، أن أشرتم على الناس بترك

---

(١) سكناها .
(٢) أوجبه للمرتهن .
(٣) أعد نفسه لدفع الرهن .
(٤) بالدار المرتهنة .
(٥) لا يفى بكفالته .
(٦) وكيلاً لا يؤدى ما ألتزم به .
(٧) منزلته .
(٨) المسجد الذى يصلى فيه .
(٩) خادم .
(١٠) الذين يأتون بالعلل والأعذار .
(١١) لا يحمل كظم غيظه إلا على أنه عاجز .
(١٢) على معروفه .
(١٣) تقسيطه .
(١٤) قاهرة لها .
(١٥) أى يأسف عليها عند تذكرها .
(١٦) الثلمة : الخلل فى الحائط وغيره .
(١٧) المفرد : إسطوانة وهى العمود .
(١٨) السترة : ما يستر ، والمراد حائط يحجب عن النظر .
(١٩) مشابه ومنافس .

الشراء . وفى كساد الدور فساد لأثمان الدور . وجرأة للمستأجر . واستحطاط من الغلة ، وخسران فى أصل المال . وزعمتم أنكم قد أحسنتم إلينا حين حثثتم الناس على الكراء ، لما فى ذلك من الرخاء والنماء . فأنتم لم تريدوا نفعنا بترغيبهم فى الكراء ، بل إنما أردتم أن تضرونا بتزهيدكم فى الشراء . وليس ينبغى أن يحكم على كل قوم إلا بسبيلهم [1] ، وبالذى يغلب عليهم من أعمالهم .

فهذه الخصال المذمومة كلها فيكم ، وكلها حجة عليكم ، وكلها داعية إلى تهمتكم ، وأخذ الحذر منكم . وليست لكم خصلة محمودة ، ولا خلة فيما بيننا وبينكم مرضية .

وقد أريناكم أن حكم النازلين [2] ، كحكم المقيمين . وأن كل زيادة فلها نصيب من الغلة .

ولو تغافلت لك ـ يا أخا أهل البصرة ـ عن زيادة رجلين لم أبعدك على قدر ما رأيت منك أن تلزمنى ذلك ـ فيما يتبين ـ حتى يصير كراء الواحد ككراء الألف . وتصير الإقامة كالظعن ، والتفريغ كالشغل [3] . وعلى أنى لو كنت أمسكت عن تقاضيك ، وتغافلت عن تعريفك ما عليك ، لذهب الإحسان إليك باطلاً . إذ كنت لا ترى للزيادة قدرًا . وقد قال الأول :

والكفر [4] مخبثة لنفس المنعم .

وقال الآخر :

تبدلت بالمعروف نكرًا وربما تنكر للمعروف من كان يكفر

أنت تطالبنى ببغض المعتزلة للشيعة [5] ، وبما بين أهل الكوفة والبصرة [6] ، وبالعداوة التى بين أسد وكندة [7] ، وبما فى قلب الساكن من استثقال المسكن . وسيعين الله عليك . والسلام » .

* * *

قال إسماعيل بن غزوان : لله در الكندى ! ما كان أحكمه ، وأحضر حجته ، وأنصح جيبه [8] ، وأدوم طريقته !

رأيته وقد أقبل على جماعة ما فيها إلا مفسد ، أو من يزين الفساد لأهله : من شاعر بوده أن الناس كلهم قد جاوزوا حد المسرفين ، إلى حدود المجانين . ومن صاحب تنقيع [9] واستئكال [10]

---

(١) بطريقتهم فى الحياة والمعاملات .
(٢) من ينزلون ضيوفا على السكان .
(٣) أى إن تساهل فى نزول الزائرين لا يمنعك من إلزامى بذلك فيما يظهر لى . ويصير كل شىء جائزًا .
(٤) انكار المعروف .
(٥) أى تحملنى على أن أبغضك كما يبغض المعتزلة الشيعة .
(٦) أى بالنفور الذى بين علماء النحو فى الكوفة والبصرة .
(٧) العداوة بين القبيلتين .
(٨) وأسلم قلبه . فالمراد بالجيب هنا القلب .
(٩) هو من يسىء دائمًا إلى الناس .
(١٠) أكل حقوق الناس .

ومن ملاق متقرب ، فقال :

تسمون من منع المال من وجوع الخطأ . وحصنه خوفًا من الغيلة . وحفظه إشفاقًا من الذلة . بخيلاً ! تريدون بذلك ذمه وشينه ! وتسمون من جهل فضل الغنى . ولم يعرف ذلة الفقر وأعطى فى السرف[1] . وتهاون بالخطأ . وابتذل النعمة . وأهان نفسه بإكرام غيره : جوادًا ! تريدون بذلك حمده ومدحه ! فاتهموا على أنفسكم من قدمكم على نفسه[2] . فإن من أخطأ على نفسه فهو أجدر أن يخطىء على غيره . ومن أخطأ فى ظاهر دنياه . وفيما يوجد فى العين[3] . كان أجدر أن يخطى فى باطن دينه . وفيما يوجد بالعقل . فمدحتم من جمع صنوف الخطأ . وذممتم من جمع صنوف الصواب . فأحذروهم كل الحذر . ولا تأمنوهم على حال .

قال إسماعيل : وسمعت الكندى يقول :

إنما المال لمن حفظه . وإنما الغنى لمن تمسك به . ولحفظ المال بنيت الحيطان . وعلقت الأبواب . واتخذت الصناديق . وعملت الأقفال . ونقشت الرسوم[4] والخواتيم . وتعلم الحساب والكتاب[5] . فلم تتخذون هذه الوقايات دون المال . وأنتم آفته ؟ وأنتم سوسه وقادحه[6] ؟ وقد قال الأول : احرس أخاك إلا من نفسه : ولكن أحسب أنك قد أخذته فى الجواسق[7] . وأودعته الصخور . ولم يشعر به صديق ولا رسول ولا معين .

من لك[8] بأن لا تكون أشد عليه من السارق . وأعدى عليه من الغاصب ؟ واجعلك قد حصنته من كل يد لا تملكه . كيف لك من أن تحصنه من اليد التى تملكه . وهى عليه أقدر ودواعيها أكثر ؟ وقد علمنا أن حفظ المال أشد من جمعه ؟ وهل أتى الناس إلا من أنفسهم . ثم ثقاتهم ؟ والمال لمن حفظه . والحسرة لمن أتلفه . وإنفاقه هو إتلافه ! وإن حسنتموه بهذا الاسم . وزينتموه بهذا اللقب .

وزعمتم : أنما سمينا البخل صلاحًا . والشح اقتصادًا . كما سمى قوم الهزيمة انحيازًا[9] . والبذاء عارضة[10] . والعزل عن الولاية صرفًا[11] . والجائر على أهل الخراج مستقصيًا[12] .

---

(١) أسرف فى الإعطاء .
(٢) أى فاتهموا من يظلم نفسه بتقديم غيره عليه بأنه يجنى عليكم .
(٣) ما يظهر للعيان .
(٤) جمع رسم : الطابع . وتختم به الأشياء .
(٥) الكتابة .
(٦) القادح يفعل فعل السوس .
(٧) جمع جوسق . والمراد به هنا الحصن .
(٨) من يضمن لك .
(٩) يقال : انحاز كل فريق عن الآخر . أى بعد عنه .
(١٠) قدرة على الكلام . يقال : هو قوى العارضة .
(١١) عندما يراد تهوين العزل يسمى صرفًا .
(١٢) الجائر .. إلخ : الذى يكلف دافعى الضرائب أكثر مما يطيقون . وعندما يمدح يسمى مستقصيًا أى يبالغ فى أخذ الحق .

بل أنتم الذين سميتم السرف جودًا . والنفخ أريحية . وسوء نظر المرء لنفسه ولعقبه كرمًا . قال رسول الله ﷺ : « **ابدأ بمن تعول** » . وأنت تريد أن تغنى عيال غيرك بفقر عيالك وتسعد القريب بشقوة القريب . وتتفضل على من لا يعدل عنك[1] . ومن لو أعطيته أبدا . لاخذ أبدًا .

قد علمتم ما قال صاحبنا لأخى تغلب . فإنه قال : يا أخا تغلب ! إنى والله كنت أجرى ما جرى هذا الغيل[2] . وأجرى وقد انقطع النيل[3] . إنى والله لو أعطيتك . لما وصلت إليك حتى أتجاوز من هو أحق بذلك منك . إنى لو مكنت الناس من مالى . لنزعوا دارى طوبة طوبة . إنه والله ما بقى معى منه إلا ما منعته الناس . ولكنى أقول : والله إنى لو أمكنت الناس من نفسى . لادعوا رقى . بعد سلب نعمتى .

قال إسماعيل : وسمعته يقول :

عجبت لمن قلت دراهمه كيف ينام ! ولكن لا يستوى من لم ينم سرورًا . ومن لم ينم غمًا .

ثم قال :

قال رسول الله ﷺ . فى وصية المرء يوم فقره وحاجته[4] وقبل أن يغرغر[5] : « **الثلث . والثلث كثير** » . فاستحسنت الفقهاء . وتمنى الصالحون أن ننقص من الثلث شيئًا . لاستكثار رسول الله ﷺ الثلث . ولقوله : « **إنك إن تدع عيالك أغنياء . خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس** » . ورسول الله ﷺ لم يرحم عيالنا إلا بفضل رحمته لنا . فكيف تأمروني أن أوثر أنفسكم على نفسى . وأقدم عيالكم على عيالى . وأن أعتقد[6] الثناء بدلاً من الغنى . وأن أكتز الريح . واصطنع السراب . بدلاً من الذهب والفضة !

قال إسماعيل : وسمعته يقول لعياله وأصحابه :

اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله . وعن باكورات الفاكهة . فإن للنفس عند كل طارف نزوة . وعند كل هاجم نزوة[7] وللقادم حلاوة وفرحة . وللجديد بشاشة وغرة[8] ! فإنك متى رددتها ارتدت . ومتى ردعتها ارتدعت . والنفس عزوف . ونفور ألوف ! وما حملتها احتملت . وإن أهملتها فسدت . فإن تكف جميع دواعيها . وتحسم جميع خواطرها فى أول ردة . صارت أقل عددًا . وأضعف قوة . فإذا أثر ذلك فيها . فعظها فى تلك الباكورة . بالغلاء

من لا ينصرف عنك .

أى أجرى العطاء على الناس ما دام يجرى الغيل أى الماء الجارى .

(٣) من نال الشيء .

(٤) احتياجه إلى التزود من الدنيا إلى الآخرة بالاحسان .

(٥) يشرف على الموت .

(٦) المراد باعتقد هنا : أجمع .

(٧) كذا وجدتها بالأصل ولعلها بدوة وهو الأصح .

(٨) خداع .

والقلة[1] . فإن ذكر الغلاء والقلة حجة صحيحة . وعلة عاملة فى الطبيعة[2] . فإذا أجابتك فى لبا كورة . فسمها مثل ذلك[3] فى أوائل كثرتها . وأضرب[4] نقصان الشهوة . ونقصان قوة الغلبة . بمقدار ما حدث لها من الرخص والكثرة[5] . فلست تلقى على هذا الحساب من معالجة الشهوة غدك[6] إلا مثل ما لقيت منها فى يومك . حتى تنقضى أيام الفاكهة . وأنت على مثل ابتداء حالك . وعلى أول مجاهدتك لشهوتك . ومتى لم تعد أيضًا الشهوة فتنة . والهوى عدوًا . اغتررت بهما . وضعفت عنهما . وأئتمنتهما على نفسك . وهما أحضر عدو[7] . وشر دخيل .

فأضمنوا لى النزوة الأولى . أضمن لكم تمام الصبر وعاقبة اليسر . وثبات العز فى قلوبكم . والغنى فى أعقابكم ودوام تعظيم الناس لكم . فإنه لو لم يكن من منفعة الغنى إلا أنك لا تزال معظمًا عند من لم ينل منك قط دهمًا . لكان الفضل فى ذلك بينًا . والربح ظاهرًا . ولو لم تكن من بركة الثروة . ومن منفعة اليسر . إلا أن رب المال الكثير . لو اتصل بملك كبير . وفى جلسائه من هو أوجب حرمة . وأقدم صحبة . وأصدق محبة . وأمتع امتاعًا . وأكثر فائدة وصوابًا إلا أنه خفيف[8] الحال . قليل ذات اليد . ثم أراد ذلك الملك أن يقسم مالاً . أو يوزع بينهم طرفًا . لجعل حظ الموسر أكثر . وإن كان فى كل شىء دون أصحابه . وحظ المخف أقل . وإن كان فى كل شىء فوق أصحابه .

* * *

قد ذكرنا رسالة سهل بن هارون . ومذهب الحزامى . وقصص الكندى . وأحاديث الحارثى . واحتجاجاتهم . وطرائف بخلهم . وبدائع حيلهم .

* قصة ابن أبى المؤمّل :

قلت لمحمد بن أبى المؤمل :

أراك تطعم الطعام . وتتخذه[9] . وتنفق المال وتجود به . وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح . والناس يبخلون من قل عدد خبزه . ورأوا أرض خوانه[10] . على أنى أرى جماجم[11] من

---

(١) تكون الفاكهة فى أول طرحها بالأسواق غالية وقليلة . (٣) عاملها مثل تلك المعاملة .
(٢) مؤثر فى الطبيعة الإنسانية . (٤) المراد بالضرب هنا : الخلط .
(٥) يقول : أضف ما حدث من نقصان شهوة نفسك وغلبتها عليك إلى ما كان نتيجة لذلك من الرخص والكثرة .
(٦) أى فى غدك . (٧) أشد عدو ماثل . (٨) ليس غنيًا .
(٩) تعمله وتجيده . (١٠) أى أن سطح المائدة لا يغطيه الخبز . (١١) المراد : أفراد على سبيل المجاز .